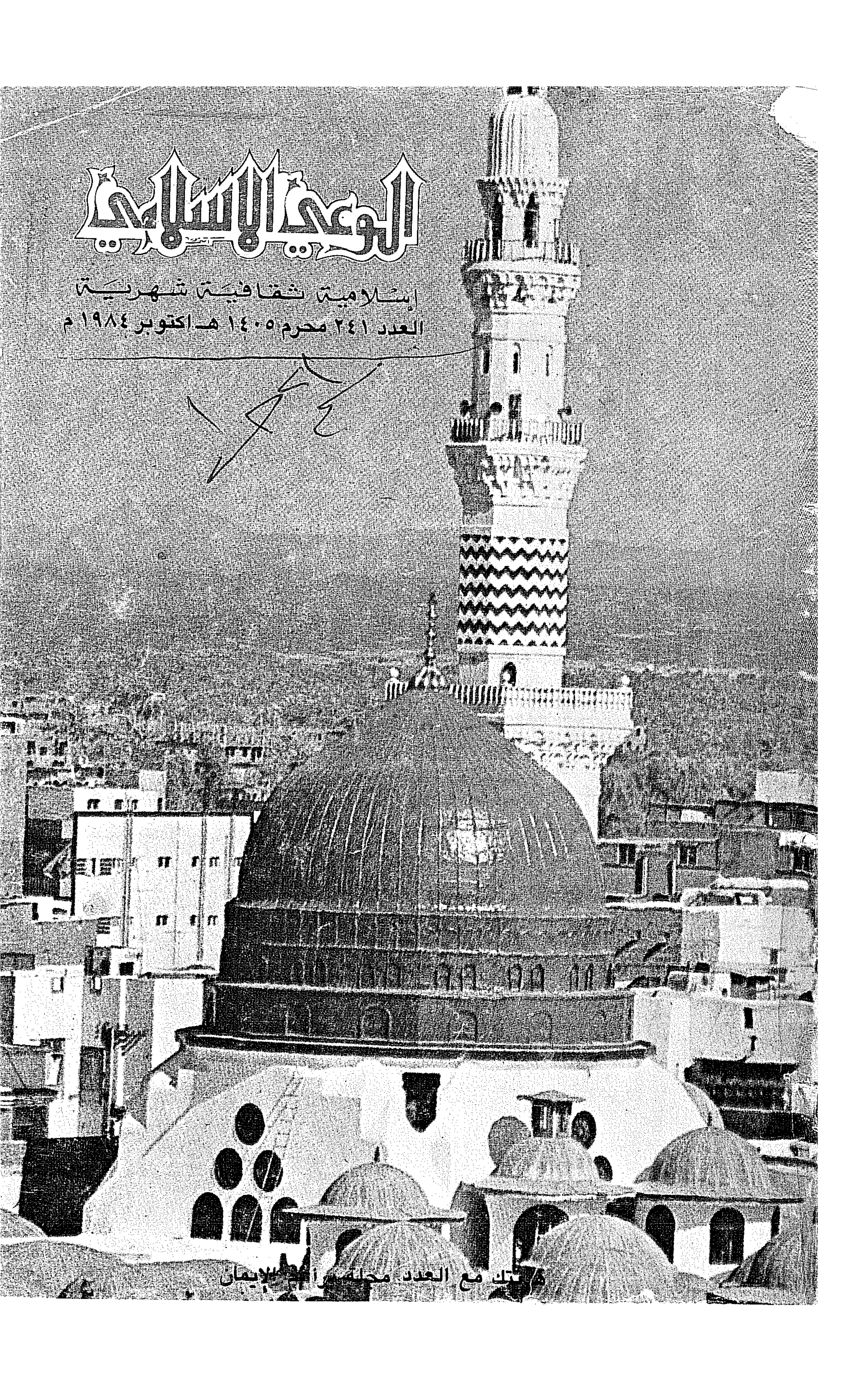
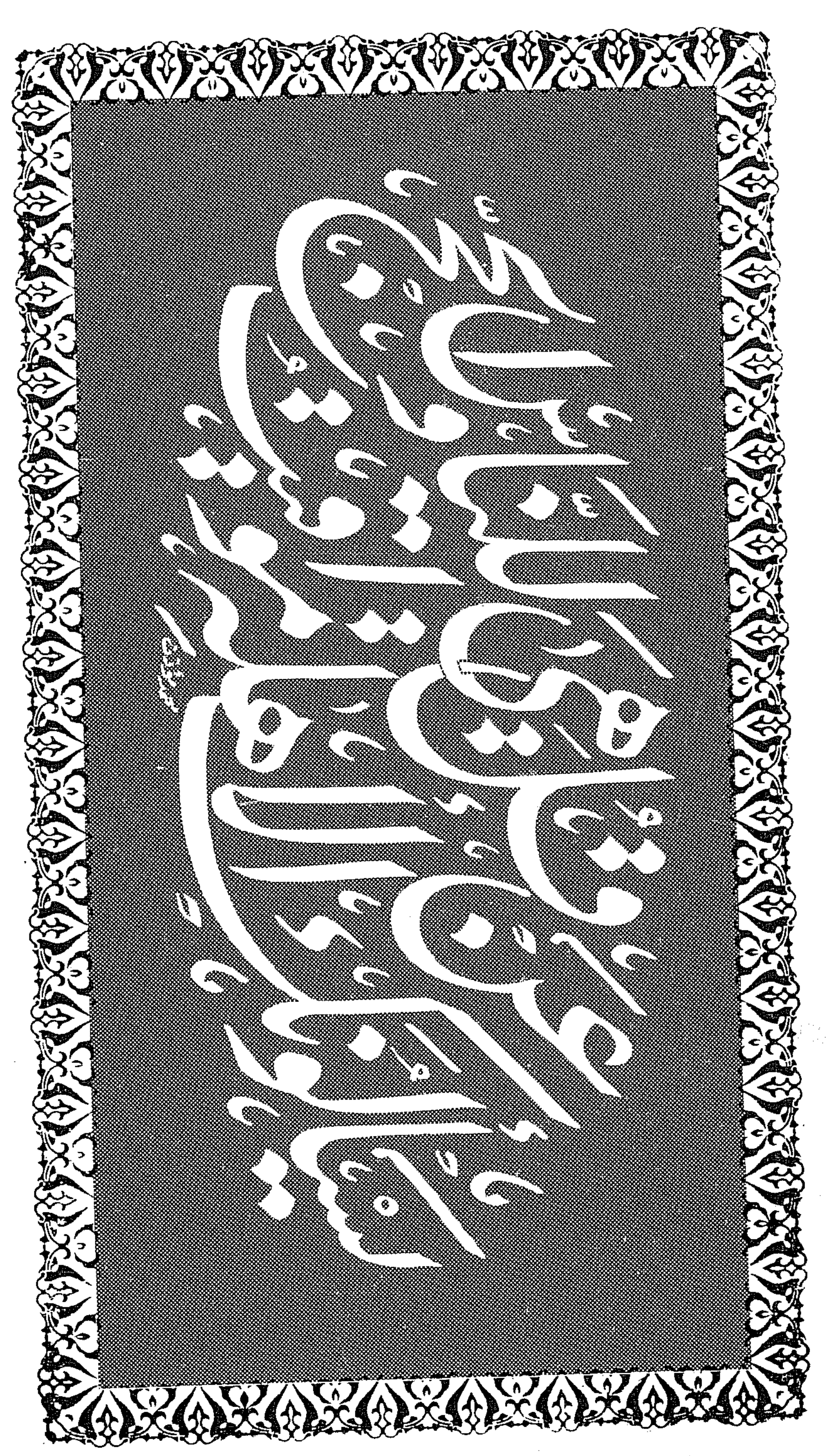

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٤١ محرم ١٤٠٥ هـ اكتوبر ١٩٨٤ م
هديتك مع العدد مجلة [illegible] الإيمان



صورة الغلاف : المسجد النبوي





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الحادية والعشرون

العدد ٢٤١ محرم ١٤٠٥ هـ اكتوبر ١٩٨٤ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

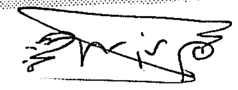
الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

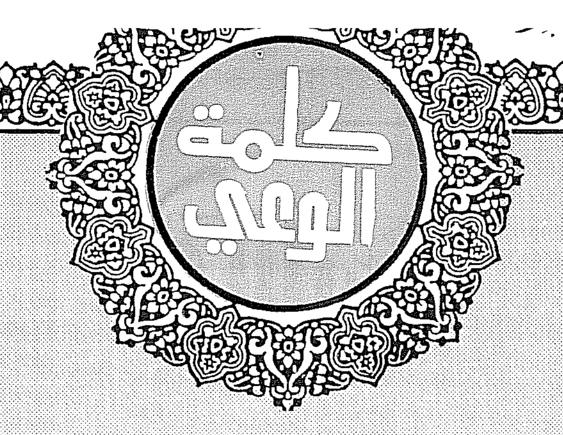
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي









وأن الله مع المؤمنين

بشهر الله المحرم تقف الأمة على أبواب عام جديد ، وهي ترقب في أفق الحياة بشائر النصر المنتظر ، والناس أمام هذا الأمل وذلك الرجاء صنفان : صنف متشائم ، ينظر الى الغد بمنظار قاتم ، وهو يرى ميزان القوة مع الأعداء ، يستبد به اليأس ، ويذيع في الناس أن النصر بعيد المنال ، ولخوفه من مغارم الجهاد ،يستطيب الذلة ، ويرضى بالهزيمة ، ويتقبل التحكم والاستعباد ، يدعي أن الأمة لن تعود إلى الوحدة بعد هذه الفرقة ، وسوف تبقى في تمزق وضياع ، بل ويصور له خياله المضطرب ، أننا لا نستطيع الصمود أمام قوة الشرق أو تفوق الغرب.هذه طائفة من الناس تعيش تحت تأثير الضغوط النفسية ، والمؤثرات الجائرة ، بعيدة عن منطق الايمان ، ومواجهة الأحداث بعزيمة الرجال ، إنهم من غير شك من أولياء الشيطان ،

يخوفهم ويملأ قلوبهم رعبا واضطرابا ، كما قال الحق سبحانه (**إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**) ١٧٥/ آل عمران هؤلاء الخوالف والمعوقون ، ابتليت الأمة بأمثالهم منذ فجر الدعوة ، ولكن القرآن الكريم كشف محاولاتهم ، وأحبط أعمالهم ، لتمضي الأمة في طريقها ، شديدة العزم ، واثقة بربها ، معتزة بايمانها ، من غير أن تؤثر في مسيرتها الأراجيف ، أو تنال منها الدعاوي الباطلة . فقال سبحانه : (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا**) ١٨و١٩ الأحزاب .

الصنف الثاني : لا يجد اليأس طريقا إليهم ، لأن قوة إيمانهم بالله تمنحهم الثقة دائما بأن نصر الله آت لا ريب فيه واذا رجحت موازين القوى المادية في جانب الأعداء ، لم يفقدوا الأمل في نصر الله ، لأن الاسلام علمهم أن النصر ليس بكثرة الجند ، ولا بقوة الحديد والنار ، ولكنه يتوقف على الايمان الذي تهون به الصعاب ، وعلى الاخلاص الذي يربط الانسان بربه ، وأن من كان مع الله كان الله معه ، يهيىء له أسباب النصر والتأييد ولو اجتمعت الدنيا على حربه والكيد له . (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) ٤٠/الحج .

نعم . المؤمنون في بداية أمرهم ، لم يفقدوا الأمل في أن العاقبة لهم ، وهم يواجهون الباطل المدجج بأسلحة البغي . ليكتم انفاس الدعوة ، ويعطل ركبها عن مسيرته ، يوم كانت مكة عيونا ترقب كل حركة ، وآذانا تتسمع كل همسة ، وقوة تبطش من غير رحمة بهذه القلة المستضعفة ، وحين فرضت عليهم المقاطعة ، وواجهوا قسوة الحصار ، لم يضعفوا ولم يهنوا ولم يستسلموا ، ولم يعرف اليأس سبيلا إلى عزائمهم ، لأنهم آمنوا بما وعد الله من إعلاء كلمته وإعزاز دينه وقد قال الحق سبحانه : (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) ٣٣/التوبة .

لقد بلغت الشدة منتهاها قبل الهجرة المحمدية ، ولكن القيادة النبوية كانت

فوق المحن والابتلاء ، وكان الأمل في عون الله يملأ قلوب من معه ، وكان المعذبون منهم يحسون بالعذاب بردا وسلاما ، وما تركه كي النار في أجسامهم من أثر كانوا يعتبرونه وسام شرف في الدنيا وعلامة تميزهم وهم يتسابقون إلى الجنة .

أما لماذا كانت المقاومة أقوى من القوة ، فلأنالنبي القائد كان يداوي جراح النفوس ، ويبشر أصحابه بفتح قريب ، ويملأ قلوبهم إيمانا وأملا ، وعزة وإباء روى البخاري : عن قيس . قال : سمعت خبابا يقول : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة . وهو في ظل الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه ، فقال : « قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه .. ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ، ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

وهكذا أشاع النبي الكريم في نفوس أصحابه التفاؤل والأمل في كل مراحل الدعوة ، مما يجعل النفس تتجرد من حولها وقوتها إلى حول الله وقوته ، وتتخلى عن كل عون إلا عون الله وقدرته ، تجلى ذلك يوم هجرته إلى الطائف ، وهو يناجي ربه والدماء تسيل من قدميه قائلا : إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ويوم هجرته إلى المدينة في أشد لحظات الضيق يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .

إن العالم الاسلامي وهو يحتفل بذكرى الهجرة المحمدية ، ويستفتح بها عاما جديدا من عمر هذه الأمة الخالدة ، عليه أن يأخذ من أحداثها الدروس التي تضيء للمجاهدين طريقهم ، وأن يستنير بأضوائها ، ويحلق في أجوائها ، على الأمة وهي تطل على مشارف مستقبلها ، أن تأخذ من الماضي عبرة ، ومن تجاربه ذكرى وموعظة ، ليثبت الله الأقدام على درب الكفاح والنضال ، وليخرج المسلمون من الشدائد برءوس مرفوعة وجهاد مشكور ونصر مبين .

هذه الأمة أثبتت أصالتها ووجودها في أكثر من امتحان مرت به ، لقد زحفت أوروبا بكل أحقادها ، وبكامل عتادها ، ثم ارتدت في النهاية عنها عاجزة عن

تحقيق انتصاراتها ، لأن السلاح الفعال في المواجهة كان سلاح الايمان ، انتصر بهذا السلاح المسلمون حينما عرفوا الله فأيدهم ، ونصروه فنصرهم ، وعلى امتداد قرنين من الزمان توالت فيهما ثماني حملات صليبية ثبت المسلمون خلالها في مقاومة ابيض بها وجه التاريخ ، وبعدها زحف التتار والمغول بأعداد ساحقة ، واختلطت أنهار الدماء بأنهار المداد النازف من فكر هذه الأمة ، وأمام هذا الابتلاء ، ما ضعف المسلمون وما استكانوا ، لأنهم اتخذوا من إيمانهم بالله دروعا تقيهم البأس ، وقوة تقهر عدو الله وعدوهم ، وهكذا ما عرفت الامة في تاريخها القديم والحديث الاستكانة لظالم ، أو التسليم لمستعمر طامع ، بل قاومت كل طغيان ، وحطمت كل عدوان ، وما عرف اليأس طريقا الى قلوبهم ، أو تسللا الى عزائمهم ، كما لم يجد دعاة الفتنة مكانا بين الصفوف المؤمنة .

بالايمان والأمل حرر صلاح الدين بيت المقدس ، واندحر التتار في معركة عين جالوت على يد سيف الدين قطز ، بالأمل والعمل يخرج الاسلام من محنته ، يملأ طباق الأرض نورا ، ويضم إلى رجاله رجالا وإلى أرضه أرضا ، كما بشر بذلك رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها » رواه مسلم وأحمد .

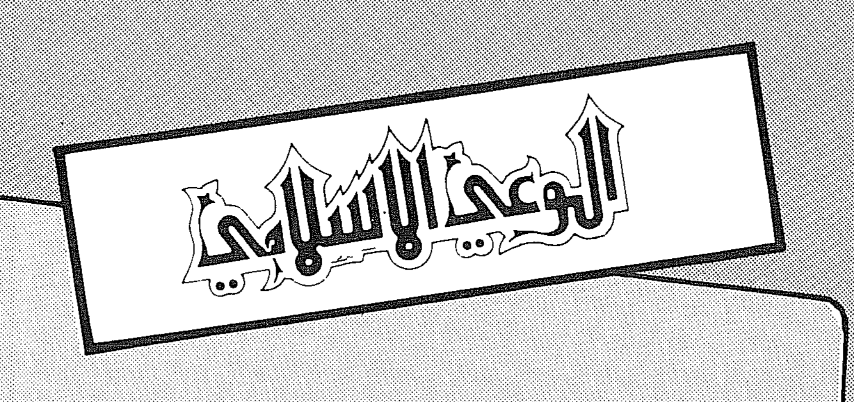
وروى الامام أحمد في مسنده عن تميم الداري قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليبلغن ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر .. »

وبعز الاسلام يعز المسلمون ، إن عادوا إلى دين الله ، وعملوا بكتابه ، والتزموا بشريعته ،

يعز المسلمون إن اجتازوا الأماني والأحلام إلى الانطلاق والعمل وتخطوا مرحلة الوعي والادراك إلى مرحلة التحرك والتنفيذ ، فليس الايمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، أعاد الله هذه الذكرى المجيدة ، وقد استعادت الأمة أمجادها ودخلت التاريخ من جديد : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** ٨/ المنافقون .

رئيس التحرير

حسن فناع



تستهل الوعي الإسلامي بهذا العدد عامها الحادي والعشرين بعون الله تعالى.

إن معالم الزمن تبدو في هذه الأحوال أشبه بالمرافئ، تتريث عندها السفينة قليلا، لا للمستريح، ولكن للتجدد، وفي كل محاولة للتجدد لا بد من تحقيق أمرين: تمحيص الذات واستطلاع المطامح الآتية. إن تمحيص الذات يقتضينا الاعتراف بأن المسؤولية التي اضطلعت "الوعي الإسلامي" بحملها ليست سهلة أبدا، ولعل هذا هو ما يحفزنا دائما إلى مزيد من الجهد للوفاء بها. ولقد كان الهدف الذي نصبته الوعي لنفسها منذ العدد الأول أن تسهم في النهضة الفكرية للأمة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فكان أن فتحت ذراعيها لعلماء الأمة ومفكريها، وربما لا نبعد كثيرا عن الصواب إن قلنا: إنها تعبر - في حدود المتاح لها - عن جانب لا بأس به من القضايا التي يدور حولها اهتمام المسلمين. بيد أن "الوعي الإسلامي" عندما تضع ما تيسر لها تحقيقه بإزاء ما تطمح إليه تحس بالتقصير فما تزال هناك قضايا تشغل أذهان المسلمين لا بد من الخوض فيها. وما يزال واقعنا وما يزخر به من مشكلات يدفعنا إلى البحث عن حلول واضحة وآراء محددة.

إن "الوعي" لا تدعي الإحاطة بمعظم القضايا الفكرية التي تهم المسلمين، ولا هي استوعبت النشاط الفكري لعلماء الأمة وكتابها، لكن الواقع أن "الوعي الإسلامي" ميدان تلتقي فيه أقلام العديد من العلماء والكتاب، فمن الطبيعي إذن أن تكون هناك علاقة وثيقة بين ما ينشر فيها ومستوى النهضة الفكرية العامة في هذه الأيام العصيبة.

تستقبل عامها الجديد

ومن هنا تجد "الوعي الإسلامي" من واجبها أن تقدم الشكر والتقدير لكل الذين أسهموا في الكتابة إليها من الكتاب والقراء على السواء، وهي ما تزال - كعهد القراء بها - تفسح المجال لسائر الآراء التي تهدف إلى المشاركة في نهضة الوعي الإسلامي للأمة.

وتيسر الوعي وهي تقدم الشكر أن تجدد دعوتها للكتاب والعلماء أن يساهموا في معالجة القضايا المعاصرة، كما يتسع صدرها لكل نقد بناء، أو اقتراح مفيد. ومع ذلك تجد من واجبها أن توضح رأيها فيما تعتقده من أبرز مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر: إنها إعادة الصلة بين الفكر والحياة، والعمل على أن يستعيد الفكر الإسلامي قيادته لحياة الأمة على المنهج الذي ارتضاه الله، على "المحجة البيضاء". إن عملية النهضة تقوم على التعمق في وعي الواقع بمثل ما تقوم أيضا على التعمق في إدراك التراث الإسلامي، ليتم النهوض بالواقع تبعا لمفاهيم التراث. وبذلك يسترد الفكر الإسلامي قيادته لحياة الأمة. وإن مسؤولية العلماء هي القيادة الفكرية. ومن هذا الجانب بالذات كانوا - كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم - "ورثة الأنبياء"

وبعد: فقد آن لسفينة "الوعي الإسلامي" أن تستأنف رحلتها بعد أن تلبثت هنيهة في مينائها الحادي والعشرين، حاملة معها المسؤولية والأمل الكبير، والثقة بعون الله تبارك وتعالى.

أسرة التحرير



للشيخ/ محمد الاباصيري خليفة

إن هدف الأديان التي أنزلها الله إصلاح أمر الناس ، وتهذيب طباعهم ، وتنقية مجتمعهم من مظاهر الفساد وعناصر الشر والأذى ، وإخراجهم من الظلمات الى النور ، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم .

ولما كان الحق سبحانه وتعالى لايمكن أن ينكشف للانسان مباشرة كان لابد أن يتخذ طريقة يتأتى بها الاصلاح .. وتلك الطريقة هي اصطفاء بعض أخيار البشر ، والايماء

إليهم بما يهدي الناس إلى صراط العزيز الحميد ، و : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته) الانعام/١٢٤**

والوحي في اللغة هو الاعلام السريع الخفي وفي اصطلاح الشريعة هو إعلام الله رسولا من رسله أو نبيا من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به .

والاسلام كبقية الاديان الالهية - دين موحى به من عند الله يعتمد في هدية وارشاده على القرآن الكريم الذي أوحى الله به إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هداية للناس كافة ، وعلى سنة الرسول (ص) المتمثلة في اقواله وأفعاله وتقريراته التي أوحى الله بمعناها لرسوله تبيانا للقرآن الكريم ، تؤكد ما جاء فيه ، وتخصص عامه ، وتبين مجمله ، وقد تأتى بأحكام زائدة على ما أتى به القرآن إما بوحي من الله وإما باجتهاد الرسول المعصوم الذي لا يقره الله على خطأ . قال تعالى : (**وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)** ١٩٢ - ١٩٥/سورة الشعراء وقال جل شأنه : (**إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا)** ١٦٣/سورة النساء وقال تعالى (**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** ٤٤ /سورة النحل وقال سبحانه (**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)** ٣و ٤ سورة النجم

وقد تحدث القرآن الكريم عن أحوال الوحي في قوله تعالى : (**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاءإنه علي حكيم)** ٥١/سورة الشورى .

فهذا النص يقطع بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة وقد روى عن عائشة رضي الله عنها : « من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية » متفق عليه .

ولا يتم كلام الله للبشر إلا وحيا يلقيه الله تعالى في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله .. أو من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام ،فإنه لما طلب رؤية الله لم يجب إليها ولم يطق تجلى الله للجبل وخر صعقا . وقد حكى الله ذلك في قوله : (**قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين)** ١٤٣/الأعراف . أو يرسل رسولا وهو الملك فيوحى بإذنه ما يشاء بالطرق التي وردت عن رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي أربع طرق .

● الأولى ـ ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة وصححه الحاكم .

● الثانية ـ أنه كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول . جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « بينمانحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فأجابه الرسول فصدق على إجابته وعجب الصحابة كيف يسأل ويصدق ثم سأل عن الايمان فأجابه الرسول وصدق على إجابته ثم سأل عن الساعة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وبعد أن انتهى من أسئلته انصرف فقال رسول الله أتدرون من هذا ؟ انه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم » .

● الثالثة ـ أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه حتى جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به الى الأرض .. ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها ـ روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال يا رسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .

● الرابعة ـ إنه يرى الملك في صورته التي خلقه الله عليها ويوحى اليه بما شاء الله أن يوحيه .. وهذا وقع له ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرتين الأولى : في غار حراء حين أوحى إليه أول آيات القرآن نزولا وهي أوائل سورة (العلق) : (**إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**)**العلق/١ ـ ٥** .

والمرة الثانية : في ليلة الاسراء والمعراج وقد أنبأت سورة النجم عن هاتين المرتين اذ يقول الحق سبحانه وتعالى : (**والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه**

على مايرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى) ١ ـ ١٧/ سورة النجم .

وجاء في صحيح مسلم ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « رأيت جبريل في الأفق الأعلى له ستمائة جناح » .

أما الرؤيا الصادقة فقد كانت أول ما بدىء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي فكان كما قالت عائشة رضي الله عنها «لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح » . والمدة التي كان يوحى فيها إليه في المنام ستة أشهر قبل نزول جبريل ، ورؤياه عليه الصلاة والسلام كانت إرهاصا وتمهيدا للنبوة ثم كان الوحي تحقيقا للنبوة ولذلك فان كل القرآن نزل يقظة لا مناما ، وما رآه الرسول في منامه من انتصار جيوش المسلمين على جيوش الأعداء في غزوة بدر الكبرى كان تمهيدا للواقع ، وجاء الواقع المشاهد مؤكدا للرؤيا المنامية وفي الصحيح الذي رواه البخاري : « رؤيا الأنبياء وحي» وقد تكون الرؤيا المنامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة مستقلة في تبليغ خبر الله تعالى كما حدث لابراهيم عليه السلام حين رأى في المنام أنه يذبح ولده فلما استيقظ قال : **(يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)** ١٠٢/سورة الصافات .

هذه حقيقة الوحي الالهي ، والكيفيات التي كان ينزل بها على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ومنها يتضح أن الوحي من الله تعالى ولا دخل للنبي فيما أوحى الله به إليه ، لأن علم الغيب لا يجيىء اكتسابا ، وإنما الله تعالى هو الذي يطلع على غيبه من ارتضى من رسول .

يقول الله تعالى : « **وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء)** ١٧٩/ آل عمران . ويقول جل شأنه : **(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)** ٢٦ ـ ٢٨/سورة الجن .

ومهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة للوحي هي تلقيه ، والعمل به وتبليغه للناس .

والأدلة على أن الوحي من عند الله وليس لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم صنعت فيه أدلة كثيرة .

أولها ـ فتور الوحي وإبطاؤه ، فقد فتر الوحي مدة طويلة بعد نزوله في غار حراء ، واشتد وقع ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاءه الوحي وهو يسير في أحد شعاب مكة . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : « بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماءوالأرض

فرعبت منه فرجعت فقلت : زملوني زملوني فأنزل الله تعالى : (**يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر**) - ٧/سورة المدثر .

وقد أبطأ الوحي مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أشد الحاجة إليه لمقاومة الجحود حتى ان المشركين قالوا : إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم سورة الضحى : (**والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى**)١- ٥/ سورة الضحى .

وأبطأ الوحي عن رسول الله وهو يحتاجه لاجابة قريش على أسئلتهم عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فان رسول الله لما سألوه قال لهم : ائتوني غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش ، ثم نزل قوله تعالى : (**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا . إلا أن يشاء الله**) ٢٣ و ٢٤/ سورة الكهف .

وفي هذا القول الحكيم النهي عن الحكم على غيب المستقبل بل على الانسان أن يحسب حساب مشيئة الله ، وهذا يدل على أن حدوث الوحي أمر يتعلق بإرادة الله وحده ، ولا سبيل لأحد في دفعه أو استحضاره ، وإلا لأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أسئلة المشركين فور توجيهها .

ثاني الأدلة - مجيىء الوحي على خلاف اجتهاد الرسول (ص) كما حدث بعد إذنه لبعض أتباعه أن يتخلفوا عن غزوة تبوك فقد نزل مايعارض ذلك الاذن ، وفيه العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المتخلفين كانوا من المنافقين قال تعالى : (**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**) ٤٣/ سورة التوبة . وكما حدث بعد أخذ رسول الله الفداء عن أسرى بدر ، فقد نزل القرآن الكريم يعاتب رسول الله ويبين أنه ما كان له أن يأخذ الفداء منهم قال تعالى : (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**) ٦٧/سورة الأنفال .

فنزول الوحي بما يخالف اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل دلالة قطعية على أن ما يخبر به الرسول ليس من عنده ، ولا من اجتهاده وإنما هو من عند الله تعالى .

ثالث الأدلة - انتظار الرسول للوحي ليحقق أمرا تشتاق لتحقيقه نفسه ونفوس أصحابه ، وهو التوجه في الصلاة الى الكعبة بدلا من بيت المقدس فلو كان القرآن من صنع محمد كما يقول الأفاكون لذكر آيات توجهه الى الكعبة ولما انتظر ستة عشر شهرا يتوجه فيها الى بيت المقدس .. فانتظر الوحي من الله حتى نزل عليه قوله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما**

كنتم فولوا وجوهكم شطره) ١٤٤ سورة البقرة

وكما انتظر رسول الله (ص) ستة عشر شهرا في أمر تحويل القبلة انتظر الوحي شهرا كاملا وهو يعيش في قلق وحيرة حين رمى المنافقون زوجته عائشة رضي الله عنها بالفاحشة فلو كان القرآن من صنعه كما يقول أعداء الاسلام لما انتظر لحظة عن سوق الآيات التي تبرىء ساحة زوجته مما رميت به .. ولكنه وهو ينتظر الوحي حاول ا لوصول إلى الحقيقة . شأن كل زوج يرمى بالخيانة في بيته . فسأل عليا ، وأسامة ، وزينب بنت جحش ، وبريرة خادمة عائشة . وكلهم ذكروا عنها الخير وكان من محاولاته أنه قال لعائشة : يا عائشة أما إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت الممت بذنب فاستغفري الله ! وبعد مضي شهر من تقول المتقولين وإفك الأفاكين نزل ببراءتها الآيات العشر من سورة النور .

رابع الأدلة ـ المعاتبة الشديدة من الله لرسوله على موقفه من رجل فقير أعمى هو ابن أم مكتوم .. دخل عليه يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله والرسول مشغول بجملة من كبراء قريش يدعوهم إلى الاسلام ، ويبتغي من إسلامهم نصرا للدعوة الاسلامية فلما رأى ابن أم مكتوم كره دخوله في هذا الوقت وعبس وجهه وأعرض عنه فنزل القرآن يعاتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عتابا شديدا ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة ، كما يقرر حقيقة الدعوة وطبيعتها : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أويذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدي سفرة . كرام بررة**) ١ ـ ١٦ سورة عبس

إن هذا العتاب الذي نزل على رسول الله وبلغه للناس وبقي وحيا يتلى للأجيال على مر القرون لأقوى دليل على أن القرآن وحي من عند الله يعبر عن صدق الرسول في كل ما بلغ عن ربه ولو كان القرآن من عند محمد لما سوغ لنفسه أن يقول حديثا كهذا ويبلغه للناس ولكن الرسول الأمين لا ينطق عن هوى ويبلغ ما ينزل عليه من عند الله ولو كان فيه ما فيه من العتاب القاسي . بل إن رسول الله ـ بعد هذا الحادث ـ كان يهش لابن أم مكتوم ويرعاه ويقول له كلما لقيه : أهلا بمن عاتبني فيه ربي . وقد استخلفه مرتين على المدينة .

أفبعد هذه الادلة يقول الأفاكون إن القرآن من عند محمد؟!ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .





اذا اردنا وصف الاسلام في مقابل وصف دين آخر كوصف النصرانية أو المسيحية مثلا بأنها دين الرحمة والتسامح ، فلا نجد له وصفا أدق ولا أصح ولا أشمل من وصفه بأنه « دين الحق » لأن مصدره وهو الله تعالى حق ، وقرآنه حق ، وعقيدته حق ، وعباداته حق ، ومعاملاته ترتكز على أساس الحق ، وهدفه إرساء معالم الحق بين الناس ،وتحقيق التوازن والاستقرار وإشاعة روح الود والحب والوئام ، على أساس القضاء بالحق والعدل والانصاف ، لا فرق بين حاكم ومحكوم ، وسيد ومسود ، وغني وفقير ، وقوي وضعيف ، ومواطن وغير مواطن ، ومسلم وغير مسلم ، من جنسيته الوطنية أم من جنسية أخرى

بل إن هناك شيئا آخر فوق الحق ، وأسمى من الحق ، وأعمق من الحق الواضح ، أكد عليه الاسلام ، وحض عليه شرع الله ، مما لا نجد له مثيلا عند أي أمة ، وفي أي ملة ، وفي مشتملات اي قانون وصفي بقصد صيانة الحق وإحاطته بدرع حصينة تتحطم على صفحاتها كل محاولات النيل والمساس به ، ألا وهو تجنب المشتبه فيه ، والتزام الورع ، والبعد عن أسوار المحظورات وحدود الممنوعات ، خشية المساس بالحق ، وتحرزا من الوقوع في الممنوع ، وبعدا عن الانغماس في شرك الحرام .

في ضوء هاتين المزيتين البارزتين للاسلام وهما كونه دين الحق ، ودعوته إلى تجنب الشبهات ، اوضح معالم قدسية الحق في الأسلام ، لا ميط اللثام عن خطورة الحق وأهميته ، ومفهومه ، وحدوده ، وجزاء البغاة عليه ، في عصر كادت تطمس

فيه الحقوق ، وتتميع فكرة الحق في الاذهان ، ويتفنن المحتالون بأنواع عديدة من فنون المكر لتخطي دائرة الحق ، وتجاهل صاحب الحق ، وتجاوز أبسط مبادىء الحق ، والاعتداء على المستحقين إما خفية وسرا ، وإما علانية وجهرا وقهرا ، ويتمثل ذلك إما بهضم الحق وغمط صاحبه ، وإما بالاعتداء على أموال الآخرين وغصبها وإتلافها وإما بجحود الودائع ، ونكران الأمانات .

والتجرؤ على الحق والعدوان على صاحبه يعتمد غالبا إما على وجود السلطة والنفوذ ، أو توافر الغنى والشهرة ، أو التكبر والتجبروالطمع ، أو النزعة الشريرة وإيثار البغي . وأصحاب هذه النزعة هم المكشوفون فقط للناس ، وغيرهم يتستر الكثيرون عنهم ، ويقتصر النقاد والوعاظ ورجال الأمن على مطاردة هؤلاء الاشقياء الأشرار ، والجناة الفجار ، المعروفين للملأ ، وأما صاحب الغنى أو النفوذ فلا يعكر صفوه أحد ، لأنه مواطن أصلي شريف

ثم إن الاعتداء على الحقوق لاينحصر فقط في الأمور المادية والقضايا المالية ، وإنما يشمل أيضا النواحي الأدبية والمعنوية من الأعراض والكرامات والحرمات والحقوق الأدبية ، كحق التأليف ونشر الكتاب ، وبراءة الاختراع ، وحق الابتكار ، فكل هذه من الحقوق المصونة المقدسة ، ومن المستغرب أن يستهين بعض المسلمين بها ، فيطبعون كتب الآخرين كما يشاؤون ، ويوزعونها وفق ما تزيفه لهم أهواؤهم ، مع أن ذلك كله سرقة وغصب وبغي بغير حق ، فالدماء والأموال والأعراض كلها حرام ، كما أعلن نبينا عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع . وقد أصبح للحق الأدبي صفة مالية ، بدليل التداول والعرف والعادة ، وكونه مقابل جهد واضح للمؤلف أو الناشر أو المخترع . ولولا الغاية المالية وقصد الربح ، لما قام إنسان بطبع أو نشر كتاب غيره أو استغلال شهرة نموذج أو ابتكار غيره ، مما يدل على أنه أصبح في عصرنا للحق الأدبي او الذهني قيمة مالية ، والتمول يكون بحسب العرف والعادة .

وأغرب من صنيع هؤلاء فعل بعض الناس الذين يتظاهرون بالصلاح والاحسان ، فيطبعون وينشرون بعض الكتب الدينية ويوزعونهامجاناً ، وهم من جهة أخرى يتجاوزون على حقوق غيرهم ، فيأكلونها ويبتلعونها بأعذار واهية وحجج مفضوحة وليتهم لم يتظاهروا بالخير ، ومنعوا أنفسهم عن الشر ، وأكل الحقوق بالباطل ، لأن اجتناب الحرام والامتناع عن الأذى ، مقدم على فعل الواجب أو المندوب ، أو اعمال الخير والقربات ، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوامنه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم » وهذا مصداق الآيتين الكريمتين : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » البقرة ـ ٢٨٦) « **فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (التغابن ـ ١٦)

وهناك فئة متسترة هم أرباب العمل أو الكفلاء الذين يتحايلون على العامل ويتهربون من دفع بعض حقوقه المقررة ، متذرعين بأوهى الأعذار ، ويلجؤون لطمس معالم الحق بأساليب ماكرة شيطانية ، أو مكشوفة أو جاهلة ، مثل ادعاء العيب ، ونقص العمل ، أو طلب إثبات الحق من أصله باتفاق كتابي أو وثيقة ، أو باللجوء إلى التزوير في الاتفاق ، أو الاعتماد على شهادة الزور وشراء بعض الضمائر من الأعوان والأقارب ، ونسوا بأن الاتفاق ملزم بمجرد التراضي بالأقوال ، لقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**) المائدة/١ وأما الكتابة فهي لمجرد التوثيق والتأكيد وهي لا شك مندوبة شرعا لقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**) البقرة/٢٨٢

ولا يجد الضعفاء أو المستضعفون بسبب غربتهم أمامهم سبيلا سوى اللجوء إلى الله تعالى ، قائلين : الشكوى إلى الله ، والعوض على الله ، ونفوض أمرنا إلى الله ، وذلك الصوت النابع من أعماق القلب هو وحده الكفيل بانتقام الملك الجبار من كل ظالم باغ ، يستسهل أكل حقوق الضعفاء وتأخذه العزة بالاثم والكبر إن قيل له : اتق الله .

إن الحق لا يضيع ، وهو ثابت دائم مقدس الأثر إلى يوم الدين والحساب ، ولتقديسه كان الحق من أسماء الله تعالى ومن صفاته ، وهو القرآن ، وضد الباطل ، والأمر المقضي ، والصدق ، والعدل ، والاسلام ، والمال ، والملك ، والموجود الثابت ، والصدق ، والموت ، والحزم ، كما جاء في القاموس المحيط .

وإن إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية الالهية وختمها بالقرآن العظيم مصدر الحقوق كان بالحق وللحق ولنصرة الحق ، فقال تعالى : (**يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**) النساء / ١٧٠ (**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم**) يونس/١٠٨ (**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق**) سبأ/٦ . والاسلام دين الحق ، قال عز وجل : **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** » الاسراء/٨١ وتكرر في القرآن الكريم وصف رسالة الاسلام بأنها حق (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**) التوبة/٣٣ والفتح/٢٨ والصف/٩) أي ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بمصدر الهداية والنور ، بالقرآن الذي يدعو إلى الهدى والفلاح ، أرسله بدين الحق والعزة والكرامة ، بالشريعة السمحاء . والقصص القرآني وما فيها من عظات وعبر كلها حق : (**إن هذا لهو القصص الحق**) آل عمران/٦٢

والله سبحانه هو الحق : (**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**) الحج/٦٢ ولقمان/٣٠ من غير ذكر : هو قبل كلمة : الباطل (**فتعالى الله الملك الحق**) طه/١١٤ و المؤمنون/١١٦

ووعد الله حق : (**إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) أي الشيطان لقمان/٣٣ وفاطر/٥ وقضاء الله حق وعدل وانتصاف للمظلوم من الظالم : (**والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير**) غافر /٢٠ (**الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا**) الفرقان/٢٦ (**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**) الاعراف/٨ وقول الله حق ثابت لا مرية فيه : (**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**) الاحزاب/٤ ويوم القيامة حق : (**ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا**) النبأ/٣٩ وخلق السموات والأرض ومن فيهن بالحق : (**خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين**) العنكبوت/٤٤

والجنة حق ، والنار حق ، والموت حق ، وما فيها كلها من حساب وعقاب حق ، وشعار المؤمنين التواصي بالحق : (**والعصر . إن الانسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر

لقد ذكرت بعض آيات الحق من أصل ٢٢٧ اية لتقرير معنى الحق وإرساء معالمه ، وترسيخ مفهومه وجذوره في أذهان البشر ، ليصدر كل منهم في رأيه وعمله وسلوكه عن الحق ذاته ، ولتكون غايته الحق نفسه ، ورضاه دائما بالحق وحده لا يتجاوزه ولا يتعداه ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . فما غاية القرآن إلا إحقاق الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : (**ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**) الانفال/٨ ثم حسم القرآن الأمر في النهاية بعد بيانه المشرق ، وإنذاره وإعذاره ، فقال تعالى : (**فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون**) يونس/٣٢

هذه هي المزية الأولى للاسلام كونه دين الحق ، وأما المزية الثانية فهي فريدة أيضا في منهج الاسلام تميزه عن أي شرعة في هذا الوجود ، وهي دعوته أيضا إلى تجنب المشتبه فيه ، لحراسة الحق وضمانه وتأكيده وللبعد عن المساس بقدسيته ، وحدوده ، وقيوده ، فلا يتجرأ عليه إنسان ، وإنما يبتعد عنه بعدا يضمن له السلامة والنجاة ، ويتمثل الاتجاه في حديثين نبويين ثابتين :

أولهما ـ حديث النعمان بن بشير فيما يرويه البخاري ومسلم ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :« إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » أي بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الشبهة ، انتفت الكراهة ، وكان السؤال عنه بدعة ، فمن ترفع عن الشبهات ، طلب براءة دينة وسلم من الشبهة ، وتحققت براءة العرض أي صون

السمعة ، فإنه إذا لم يترك الشبهة ، تطاول إليه السفهاء بالغيبة ، ونسبوه إلى أكل الحرام ، فيكون مدعاة لوقوعهم في الاثم ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يقفن مواقف التهم » ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، وهو يظن أنه ليس بحرام ، أوقد قارب أن يقع في الحرام ، وقد اعتمد المالكية والحنابلة على هذا الحديث في القول بمبدأ سد الذرائع أي أن ما كان طريقا إلى الممنوع فهو ممنوع ، من قبيل الورع والاحتياط وصيانة الدين والنفس ، حتى لا تقع في المحرمات ، وصونا للنفس عن كل دواعي الهوى والاغراء .

وثاني الحديثين : ما أخرجه البخاري ومسلم أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إلي ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن ـ أفطن ـ بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو مما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » زاد في رواية ابن كثير في الارشاد : « فلا يأخذه قبل : فإنما أقطع » والذي يلاحظ أن هذا الحديث تضمن مبدأ خطيرا أخذبه جمهور العلماء خلافا لأبي حنيفة رحمه الله ، وهو أن قضاء القاضي ينفذ ظاهرا لا باطنا ، فلا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، إذا كان المعدي مبطلا وشهادته كاذبة . وهذا ما دعا الخصمين أن يقول كل منهما أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم : حقي لأخي ، وأبى كل منهما أن يأخذه ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إن فعلتما ذلك ، فاستهما واقترعا » أي الأخذ بالقرعة .

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن ورع المسلم يدفعه أحيانا إلى ترك حقه خشية الوقوع في الحرام ، لا أن يتحايل على غمط الناس حقوقهم ، فذلك من الكبر ، وهو الحاصل الآن ، روى مسلم والترمذي عن ابن مسعود حديثا في ذلك وهو « أن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس » دفع الحق ورده ، وغمط الناس : احتقارهم وازدراؤهم .

هذه سمات وخصائص المسلم الحق الذي لا يعرف غير الحق مذهبا ومنهجا وتعاملا وسلوكا ، وهو الذي يخشى الاعتداء على حقوق الآخرين خشية تملأ جوانحه ومشاعره ، فلا يتجرأ على أكل أموال الناس بالباطل امتثالا لنواهي القرآن الكريم المتضافرة ، والتي منها آيتان هما مدار الحفاظ على الحقوق وهما ؛

الأولى : (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون**) البقرة/١٨٨

والثانية (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء/ ٢٩ ويلاحظ أن الاستثناء في هذه الآية استثناء منقطع أي من غير جنس الكلام السابق ، معناه : ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم ، أو لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه .

وفي الخاتمة أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الحق وإلى صراط مستقيم .



للأستاذ : شوقي محمود أبو ناجي

لا ينكر احد ان للباطل في كل زمان ومكان من التسلط والأعوان والتقاليد الجامدة الموروثة ما يجابه به الحق ويقف في سبيله محاولا الحيلولة بين نوره الهادىء ـ في مستهله ـ والأبصار التي تميز جمال هذا النور فتحسن استقباله ، ولئن كان نور الحق يظهر هادئا ضعيفا في بدايته أمام القوة والثراء والجاه الذي يبهر بريقه الكاذب قلوبا ترى آمالها في النعيم الدنيوي فحسب ، فتؤخذ العيون ، وتبهر النفوس ، وتشرئب الاعناق إلى هذا الوهج الكاذب ، إلا أن هذا الوهج سرعان ما يصير إلى رماد ليشع ضياء الحق رغم عنت المعاندين وتجبر المتسلطين الذين :(**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**) ٣٢ التوبة

وعلى قدر عظمة الداعية يكون عظم الابتلاء ، وأعظم الناس قدرا هم الأنبياء والرسل ، وعلى ذلك فهم أكثر الناس ابتلاء وصبرا حتى يظهر الله الحق ويبطل الباطل « أم **حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**) ١٤٢ آل عمران .

ويحفل القرآن العظيم بقصص الابتلاء الذي لاقاه الأنبياء من أقوامهم المنكرين الجاحدين .

فهو يحدثنا عن نوح عليه السلام واستهانة قومه بالوعيد : (**قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**) هود ٣٢ وعن اصرار قوم هود ـ عليه السلام ـ على الكفر : (**قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين**) ٥٣ هود .

وعن ضلال قوم صالح عليه السلام .
(**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**) ٦٢ هود .

وعن الفساد المتوطن في قوم لوط :
(**... وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**) ٨٢ الاعراف ·

وعن تجبر قوم إبراهيم عليه السلام :
(**قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ● أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ● قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**) ٦٦ ـ ٦٨ الأنبياء

وعن انفضاض قوم إلياس عنه وتكذيبهم إياه :
(**إذ قال لقومه ألا تتقون ○ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين ● فكذبوه فإنهم لمحضرون**) ١٢٤ ـ ١٢٧ الصافات

وعن فرعون وتهديده لموسى عليه السلام :
(**لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين**) ٢٩ الشعراء ،

وعن خبث بني إسرائيل مع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام :

(**إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**) ٥١ آل عمران
ويحكي القرآن عن رده فعلهم على دعوته :
(**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**) ٥٤ آل عمران
ولم يكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأقل بلاء في قومه ممن سبقه من الأنبياء والرسل ، ولا أقل صبرا على ما لاقى من أذى أقرب الأقربين ، فها هوذا عمه أبو لهب عندما نزل عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى : (**وانذر عشيرتك الاقربين**) ٢١٤ الشعراء . يصعد الصفا وينادي : « واصباحاه » وهو نداء النفير الذي كانوا ينادونه عند الحرب أو الأمر الجلل فلما أقبلت قريش تسيل من شعابها حتى غص بهم المكان قال لهم :

« أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ ، قالوا : ما جربنا عليك كذبا قط . فقال لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .. إنكم لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » . فكان الرد الذي يفتقر إلى الحد الأدنى من العاطفة والتعقل والمنطق من عمه أبي لهب : « تبا لك ، ألهذا جمعتنا ؟! »

فكانت صدمة نفسية شديدة الوقع على النبي صلى الله عليه وسلم من رجل قريب القرابة ، كان أولى به ـ وقد أغلق منافذ حسه ومشاعره وعقله ـ أن يترك المجاهرة بالعداء الأبعدين .. حتى تكفل الله من علياء سمائه بالرد عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ . .

(تبت يدا أبي لهب وتب ● ما أغنى عنه ماله وما كسب ● سيصلى نارا ذات لهب ● وامرأته حمالة الحطب ● في جيدها حبل من مسد) سورة المسد .

وبالمقابلة مع موقف أبي لهب يجمل بنا أن نذكر موقف عمه الآخر « أبي طالب » الذي كان يحمي الحق ويدافع عنه ويتحمل الضيق في سبيله ، وقد رضي أن يعيش محاصرا ـ هو وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ـ مضيقا عليهم الرزق وكل أسباب الحياة في حصار اقتصادي واجتماعي لم يعرفه المجتمع العربي من قبل ـ قاطعتهم قريش ومن انضم إليهم من بني عبد مناف وعلى رأسهم أبو لهب ، وكان الحصار على بني هاشم وبني عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم .

ورغم زعم البعض أن ذلك كان لمجرد العصبية الجاهلية ، فهذا زعم مردود عليه بموقف عمه الآخر « أبي لهب » . والحقيقة أن حب أبي طالب الشديد لابن أخيه الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان هو الدافع الرئيسي وراء هذا الموقف النبيل .

ولنا أن نتصور حزن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موت هذا العم الكريم ، وفي نفس العام كانت وفاة زوجته الحانية التي آزرت الدعوة بكل ما تملك من جهد ومال ، وإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليذكر لها ذلك وفاء أمام السيدة عائشة عندما قالت له : « قد أبدلك الله خيرا منها » فيرد عليها ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ما أبدلني الله خيرا منها وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء »

ويقول الاستاذ محمد الغزالي : « إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد آزرته في أحرج الأوقات ، وأعانته على إبلاغ رسالته ، وشاركته مغارم الجهاد المر ، وواسته بنفسها ومالها ، وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خن الرسالة وكفرن برجالهن ، وكن مع المشركين من قومهن وكن حربا على الله ورسوله ... » (**ضرب الله مثلا للذين**

كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) التحريم ١٠

ولهذا فقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم العام الذي مات فيه عمه أبو طالب وزوجته السيدة خديجة « عام الحزن » .

وقد اشتد عليه الأذى ، وزادت جرأة المشركين ، بل إن أحدهم ليطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي .

روى مسلم عن ابن مسعود قال :

« بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضعه بين كتفيه ، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى ذهب إنسان فأخبر فاطمة ، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاته رفع رأسه ثم دعا عليهم ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال :

« اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته . ثم قال :»اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عقبة ، وعقبة بن أبي معيط ، فوالذي بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحق لقد رأيت الذين سمي صرعى يوم بدر .

وها هو ذا أبو جهل فيما يرويه البخاري بسنده عن ابن عباس :

« مر أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي فقال : ألم أنهك أن تصلي بالمسجد يا محمد ؟! لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني ، فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالى : (**فليدع ناديه ● سندع الزبانية**)١٧ ، ١٨ العلق

وهذا هو النضر بن الحارث ـ ابن خالته صلى الله عليه وسلم ـ وقد تأججت الغيرة بين ضلوعه يستنكر أن يؤتى محمد صلى الله عليه وسلم الحكمة وما حبس إلى الحكماء ولم يضرب في الأرض مثله ، ووالده الحارث بن كلدة ـ طبيب قريش ـ وهما ـ النضر وأبوه ـ يتيهان على الناس لأنهما عرفا أجزاء الحكمة ، استكثر ابن خالته عليه أن يؤتى جوامع الكلم ولا ينال هو إلا النزر اليسير من حكمة الفرس وأساطيرهم ، وقصص رستم وإسفنديار .. بل حاول أن يقتله وقد رآه أسفل ثنية الحجون لولا الرعب الشديد الذي هزه من الرأس إلى القدم حتى أحس كأنه يموت من الخوف ، كان ابن خالته هذا صاحب الرأي في الحصار ، وإن الغيرة الحمقاء والحسد المتأجج في صدره لينهشان في قلبه حتى قال :« لو نشاء لفعلنا مثل هذا » . **إن هذا إلا اساطير الأولين** . فأنزل الله تعالى :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ● وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ● وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ● وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ● وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ● إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الانفال ٣١/٣٦ .

وتجاوز النضر كل صروف العداوة حتى راح يهزأ من الله سبحانه وتعالى ومن قرآنه استهزاء الجاهلين ، وجعل عمرو بن العاص يلقن الصبية أشعاره في هجو الرسول صلى الله عليه وسلم .

ودخل إلى الحرم من باب بني مخزوم ومد بصره فإذا بأبي بكر وعلي وبعض الصحاب قد جلسوا بالقرب من زمزم فمشى إليهم ، فوقعت عليه أعين سادات قريش فهبوا إليه مزمجرين وأخذوا يتجاذبونه وهم يقولون له ـ صلى الله عليه وسلم ـ :« أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا » وجعل بعضهم يدفعونه إلى بعض ، وما دنا من أصحابه أحد إلا أبو بكر لم يحتمل أن يرى رسوله ونبيه وحبيبه بين أيدي المشركين يتجاذبونه فانطلق إليهم يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟! »

وحين طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في أن يستقبل أهل ثقيف الدعوة فربما أكسبهم خفض العيش ونعومة الحياة رقة لم تتأت لقريش ، فاصطحب غلامه زيد بن حارثة وقطعا على أقدامهما نحوا من عشرين ميلا هي المسافة بين مكة والطائف ، ليضرب ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديد بارد وقد عمد إلى سادة ثقيف وأشرافهم وهم ثلاثة ، الاخوة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، وابن عوف بن عقدة بن عوف بن ثقيف .

ومع أن هذه الرحلة لم تكن محققة الاستجابة إلا أنها كانت نموذجا رائعا من نماذج الجهاد في سبيل نشر الدعوة .

لقد أجابه أبناء عمرو بن عمير عندما دعاهم إلى الله تعالى بنكر القول حتى إن أحقدهم ليقول له : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟! فكأنه يستنكر أن يكون هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد روى موسى بن عقبة أنه قعد له أهل الطائف صفين على طريقه فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما حتى رضخوهما بالحجارة حتى أدموهما ، فمضى وهما يسيلان دما .

ولم يستطع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعود إلى مكة إلا في جوار المطعم بن عدي بعد أن رفض جواره الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو . وعندما بثت قريش أشرافها ليكلموه وقد طمع في أن ترق قلوبهم لتستقبل نور الهداية إذا بهم لا يزدادون إلا إعناتا في مطالبهم المادية من توسعة أرضهم أو إحياء أمواتهم أو تحويل أرضهم إلى جنات فيها قصور من ذهب وفضة ، أو أن ينزل عليهم كسفا من السماء . أو أن يرقى السماء على سلم ، وأن ينزل ومعه كتاب في قرطاس .

وإننا لنسمع صوت اللجاج المنبعث من عقول أشبه بالحجارة أو أشد جفافا على لسان عبد الله بن أمية بن المغيرة ـ ابن عمته عاتكة ـ الذي يفضح نيته المبنية على الجحود والنكران وهو يقول : « وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك » وهو بهذا يصرح بأن التكذيب سابق للدليل . وهذه المطالب والرد عليها قد سجلها القرآن الكريم :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ● أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ● أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ● أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) ٩٣/٩٠ الاسراء

(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ● وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ● ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)
٧ ـ ٩ الأنعام .

وتتعاقب الايام .. والمعاندون يزدادون عنادا .. والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزداد إصراره صبرا على البلاء لا يواجه عنتهم وتكذيبهم إلا بما يتنزل عليه من وحي السماء ، حتى إذا ما ضاق صدر أحد أصحابه « خباب » بالايذاء وطلب منه أن تتدخل السماء لردع وعقاب الجاحدين المعاندين ، قال له في غضب لينبهه إلى أهمية الصبر في سبيل الدعوة مهما كان الأذى شديدا :

« لقد كان من قبلكم ليمشط بمشط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه »

وتتوالى نزول الآيات التي تسري عن نفسه صلى الله عليه وسلم ـ وتدعوه إلى نبذ الحزن وأن يتمسك بأخلاق الأنبياء :

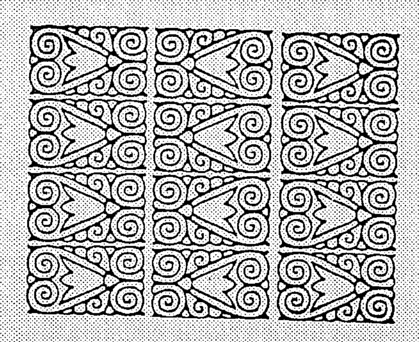
(لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ● وقل إني أنا النذير المبين)٨٨ ، ٨٩ الحجر
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) ٨٧ الحجر
(لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) ٤١ المائدة

(**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا**) ٦٥ يونس
(**ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا**) ٢٣ لقمان
(**فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**)٧٦ يس

وحسبك أصحابك الذين اتبعوك بإيمانهم فإن النجاح لا يكتب إلا لداعية رقيق يفيض رحمة على من حوله .(**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**) ١٥٩ آل عمران

وسط هذا الظلام المتراكم ، والبلاء الشديد الذي يتحمله صابرا محتسبا ، فإذا اشتد لا يزيد إلا إصرارا على مواصلة المضي في ثبات حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل .. تشاء حكمة العلي الأعلى أن يقيم لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهرجانا عظيما لتكريمه فوق ما يتصور الادراك البشري ، يبدؤه برحلة الاسراء إلى بيت المقدس ، ثم يعرج به إلى السموات العلا ليريه من آياته الكبرى وليكون الأنبياء في شرف استقباله كلما عرج إلى سماء من السموات .. حتى إذا تمت الرحلة هبطوا معه تكريما وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الالهية العظيمة إلى بيت المقدس حيث أمهم في صلاة الفجر عن أمر جبريل عليه السلام ، مع أن بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم ، فكانت إمامته لهم للدلالة على أن الامام الأعظم يقدم على رب المنزل وهذا تأكيد على أن نبينا صلى الله عليه وسلم ـ أعظم الأنبياء قدرا وأحبهم إلى الله سبحانه وتعالى .

ولهذا يرى ابن القيم « أن ليلة الاسراء في حق النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر ، وليلة القدر بالنسبة للأمة أفضل من ليلة الاسراء . وليلة الاسراء في حق النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له »
فأنعم بها ليلة كرم فيها خير الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رب العالمين .





هل كان اختيار هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة موعدا لبدء التقويم الاسلامي نتيجة لحوار شخصي بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أدى إلى الاتفاق على ما اتفقوا عليه ، والتزم المسلمون بهذا التقويم منذ ذلك الحين حتى اليوم وإلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ؟ وهل يقبل منطق بناء الأمة وتنظيمها أن يكون هذا البناء والتنظيم من وحي المصادفات العابرة ؟! إن هذا التساؤل أصبح واردا في هذه الأيام التي يشهد فيها المسلمون تحركا عالميا يشمل سائر أقطارهم وأمصارهم للاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على حادثة الهجرة وإهلال القرن الخامس عشر . وإنه مما لا شك فيه أن هذا التحرك وثيق الاتصال بهذه الحادثة من حيث دلالتها المعنوية على الأثر المباشر الذي ترتب عليها وهو قيام الشخصية الاسلامية على الأسس الدولية التي أصبحت اليوم قانونا عالميا بحسب الأعراف السياسية السائدة في حياة الأمم المعاصرة . وهذه الأسس التي ارتبطت بالهجرة هي : الأرض والشعب والحكومة . هذه الأصول الثلاثة التي يتجسد في وجودها المادي المفهوم القانوني لوجود الدولة وبالتالي

الشخصية الاعتبارية للأمة . وإن أي نقص في هذه الأصول المذكورة يجعل الكلام عن وجود الدولة والشخصية الاعتبارية للأمة ضربا من اللغو العاطفي الذي لا سند له من الواقع المادي .

ومن خلال هذا المفهوم القانوني لقيام الدولة وكيان الأمة فإن الهجرة النبوية قد أعطت الحركة الاسلامية الاطار الذي أفرز لها حيزا مستقلا في جزيرة العرب وخولها محاورة الآخرين في داخل الجزيرة وخارجها من منطق الجماعة التي تتمتع في كيانها الخاص بالعناصر الأساسية اللازمة لوجودها الدولي الذي يخولها الانطلاق على قاعدة التناظر المتقابل مع الكيانات الدولية الأخرى كيفما كانت هذه الكيانات وأينما كانت .

وهذا ما أقدم عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالفعل فور استقراره بالمدينة المنورة وانتظام شؤونه فيها حين أرسى قواعد حركته الدينية على الأصول الثلاثة التي بيناها ، وهي ، المهاجرون والأنصار : بوصفهم الشعب الاسلامي . والمدينة المنورة : بوصفها الأرض التي يعيش فيها هذا الشعب ، وأخيرا التشريع الاسلامي : بوصفه القانون الذي يطبق على الشعب والأرض في آن واحد .

فلقد بادر النبي محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك إلى ممارسة الاتصالات المباشرة مع القبائل العربية عن طريق الرسائل التي طلب فيها من هذه القبائل اعتباره طرفا مستقلا في العلاقات القائمة بينه وبينها على أساس مبادىء واضحة وشرائط محددة . كما بادر في نفس الوقت إلى توجيه ممثليه إلى رؤساء الدول المجاورة وزودهم برسائل رسمية تتضمن مطالبة هؤلاء الرؤساء بالاعتراف بنظامه الجديد القائم على الشريعة الاسلامية كما طلب إليهم في هذه الرسائل الاعتراف به شخصيا كرئيس أعلى لهذا النظام ، وهو ما يسمى حسب الاصطلاح الديبلوماسي في عصرنا بالوثائق السياسية المتبادلة بين الدول عبر رؤسائها الشرعيين .

وإذا عدنا إلى الوقائع التي توالت في المدينة المنورة فور هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إليها ، وخلال السنوات الأولى بعد هذه الهجرة ، فإننا نلاحظ كيف أن المجتمع الاسلامي الذي شكله النبي محمد صلى الله عليه وسلم من المكيين الذين رافقوه ومن المدنيين الذين آووه ونصروه ، سرعان ما تحول إلى وحدة شعبية التصقت بوطنها الجديد والتفت حول عهدها النبوي تحت لواء الدعوة الاسلامية ، الأمر الذي أعطى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم القدرة على اهتبال هذه الفرصة ليتصرف دون أي إبطاء في الاتجاه الذي يترجم انطلاقته الدينية إلى كيان سياسي بكل ما في هذه الكلمة من المعاني الدولية ، إذن ، فإن هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت في الواقع نهاية وبداية في آن واحد ، أما النهاية فإنها كانت لمرحلة إعلان الدعوة الاسلامية وأما البداية فإنها كانت لمرحلة إعلان الدولة الاسلامية .

ولعلنا لا نحتاج إلى مزيد من التفصيل من أجل إيضاح الفروق المبدئية والجوهرية القائمة بين المرحلة التي شهدت ظهور الدعوة الاسلامية وبين المرحلة

التي شهدت نشوء الدولة الاسلامية . ذلك أن **المرحلة الأولى** كانت بما لابسها من مبادرات قام بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم على المستوى الفردي والقبلي كانت في مجملها مجرد إرهاص بتحول فكري هدفه نشر العقيدة الدينية الجديدة بين الأقربين من الأهل والمواطنين ، بينما **المرحلة الثانية** ، بما تمخضت عنه من وقائع صدامية وأحداث ذات صبغة عامة ، كانت إيذانا بتأسيس عناصر الدولة القومية الجديدة بمعالمها الواضحة ونظمها المركزية ، داخليا وخارجيا ، وهي العناصر والنظم التي تعكس المعطيات القانونية الحديثة المتعارف عليها في العرف الدولي السائد وهي : الشعب والأرض والسلطة « أي الحكومة » .

وانطلاقا من هذا المفهوم التحليلي لواقعة الهجرة النبوية من بلد الدعوة إلى بلد الدولة فإننا نؤكد بأن الحوار الذي تبادله أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم وانتهى إلى إقرار التقويم الاسلامي ابتداء من الواقعة المذكورة ، لم يكن وليد التأويلات الافتراضية لذلك الحدث المادي العارض ، بل إنه كان مرتبطا ارتباطا عضويا أكيدا بالأغراض التأسيسية التي أوضحناها ، والتي كانت وقائعها الحسية لا تتجاوز الظاهرة العرضية فقط ، لا أكثر ولا أقل .

وعليه فنحن نقول ، بأن التاريخ الهجري كان تعبيرا مدروسا من قبل الذين وضعوه لأول مرة عن إنشاء الدولة الاسلامية بكامل ما تعنيه هذه المؤسسة العامة من أبعاد في التنظيم الداخلي ومن توثيق للسيادة القومية ومن توضيح للعلاقات الخارجية مع التجمعات القبلية في داخل الجزيرة العربية ومع الأمم الأخرى في الأقطار الأجنبية المجاورة .

هذا ، وما كنا بحاجة إلى كل هذه الافاضة فيما قدمناه من الكلام عن مغزى ارتباط التقويم الاسلامي بواقعة الهجرة بالذات لولا أن هناك من رأى إثارة الجدل في أمر هذا التقويم في محاولة إلى إعادة النظر فيه بعد استقرار الاجماع عليه من قبل المسلمين في عهودهم المختلفة ، وذلك من خلال طرح فكرة الاعتماد على واقعة وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعتبارها مبدأ للتقويم الاسلامي بدلا من واقعة الهجرة . وإن هذه الفكرة التي فوجيء بها العالم الاسلامي اليوم على غير موعد ولا انتظار ، نابعة ، أرجح الظن ، من رغبة القائلين بها والداعين إليها في « التغيير من أجل التغيير » وهي فكرة تعكس في الواقع ظاهرة التمرد والرفض والقلق التي تسود الجيل المعاصر ولا تتجاوز في منطلقها الارتجالي نطاق بعض الأشخاص الذين وقعوا تحت تأثير عواطفهم الشخصية الجامحة ، وهي ـ أي هذه الفكرة ـ ليس لها على أي حال مبرر مقبول في المنطق السليم أو أي نتيجة إيجابية بالنسبة للمصلحة العامة من الناحية الوطنية للاسلام والمسلمين على حد سواء . بل إن هذا التغيير في التقويم الاسلامي ، إن حدث ، فسوف يؤدي ، من غير شك ، إلى بلبلة التراث الاسلامي المستمر منذ أربعة عشر قرنا على قاعدة تاريخية مستقرة كما يؤدي في الوقت نفسه ، إلى إضافة مشكلة جديدة إلى جانب المشكلات الكثيرة الأخرى التي يرزح المسلمون تحت وطأتها في الوقت الحاضر .

وإنه لجدير بالذين استهوتهم وَاستبدت بهم رغبة التغيير من أجل التغيير » وراحوا يجرون وراء فكرة استبدال التقويم الوفاتي بالتقويم الهجري ، أن يتذكروا بأن وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ما ترمز إليه من دلالات قدسية في التقاليد الاسلامية وما تثيره من اهتمامات عاطفية عند المسلمين ، فإنها ، أي وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا تعدو أن تكون حادثا عاديا من سنن الكون والحياة التي تتصل بواقع الوجود البشري ، وهي من الحوادث المادية الحتمية التي تتكرر دائما في كل آن وفي كل مكان ، وليست خاصة بشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالذات في حين أن الهجرة النبوية ليست حادثا بل هي حدث ضخم وضع الكون والحياة عند منعطف حضاري له أبعاده الجذرية في مستقبل الانسانية بما أعطاه لها من زخم عقائدي إذ أن هذا الحدث أطلق الانسان من ربقة القيود الجاهلية المرهقة وأتاح له الاندفاع في نهج حياتي يقوم على البناء والعطاء والازدهار وكان له ما بعده في توضيح الصورة المثالية من أجل مستقبل أفضل تحت ظلال وارفة من الحق والخير والجمال .

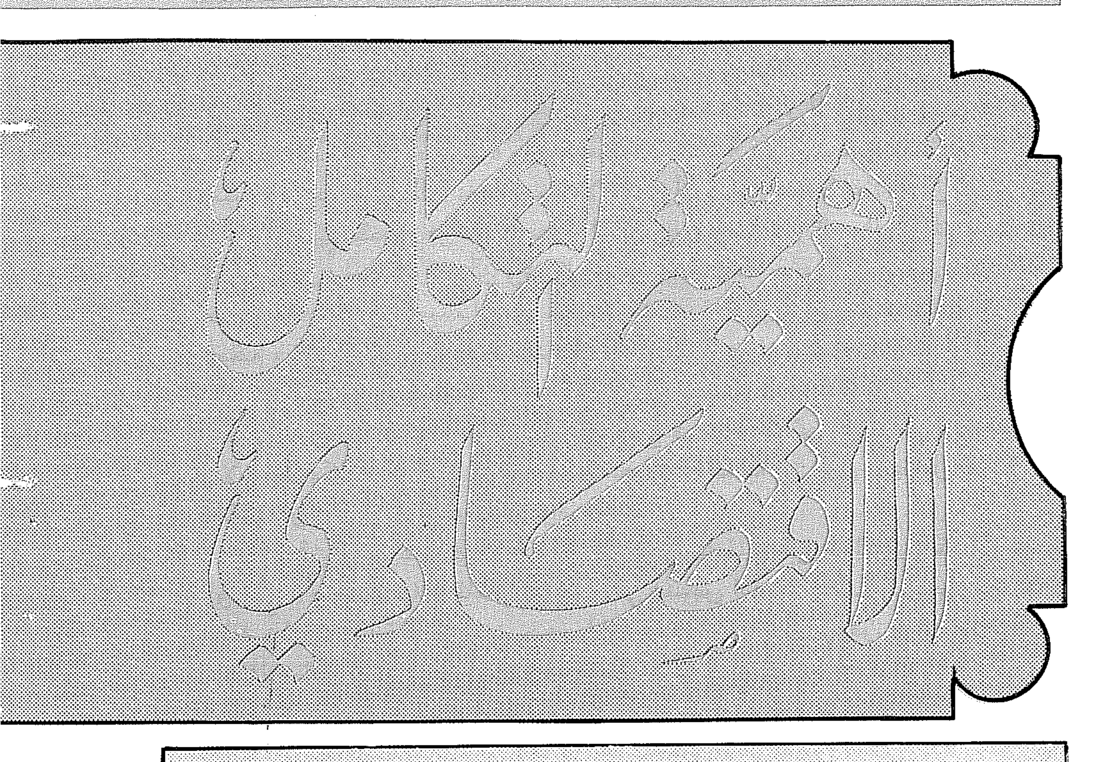
وقبل أن نأتي على ختام هذا الكلام بقي علينا تذكير الداعين لفكرة « التقويم الوفاتي » بأن الاسلام قام في جوهره على أساس إلغاء « عبادة الشخصية » سواء كانت هذه العبادة لصنم من حجر أو لانسان من البشر . ومن أروع ما يؤكد على هذا الأساس الجوهري أن الله عز وجل خاطب النبي محمداً صلى الله عليه وسلم في كتابه الكريم : (**قل إنما أنا بشر مثلكم**) الكهف/ ١١٠ فهل يريد الذين يقولون بالتقويم الوفاتي أن يعطوا لهذا النبي الكريم غير الذي أعطاه له ربه في قرآنه العظيم ..؟!

وإن الاسلام قد امتاز على ما سواه من بقية الملل والنحل والأديان بأنه جعل قيمة الأشخاص نابعة من قيمة المبادىء التي يحملونها أو يحملون الناس عليها . ولم يجعل قيمة هذه المبادىء نابعة من هؤلاء الأشخاص مهما كانت ألقابهم وصفاتهم ومواصفاتهم .

هذا مع العلم بأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كانت قيمته بما قدمه من عطاء عقائدي للحضارة والكون والحياة . وهو العطاء الذي أرسى قواعده التنظيمية والدولية يوم الهجرة بالذات **وخلاصة القول مما تقدم** :

أن في التقويم الهجري تقييما للمعنى الاسلامي في الدعوة المحمدية الغراء ، أما التقويم الوفاتي فإنه ، في الواقع ، يعكس التقييم الشخصي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن هذا النبي الكريم قد حرص في جميع أفعاله وكذلك في جميع أقواله ، وأيضا في جميع مواقفه ، على أن قيمة الاسلام فوق أية قيمة أخرى ، مهما كانت وكيفما كانت ..

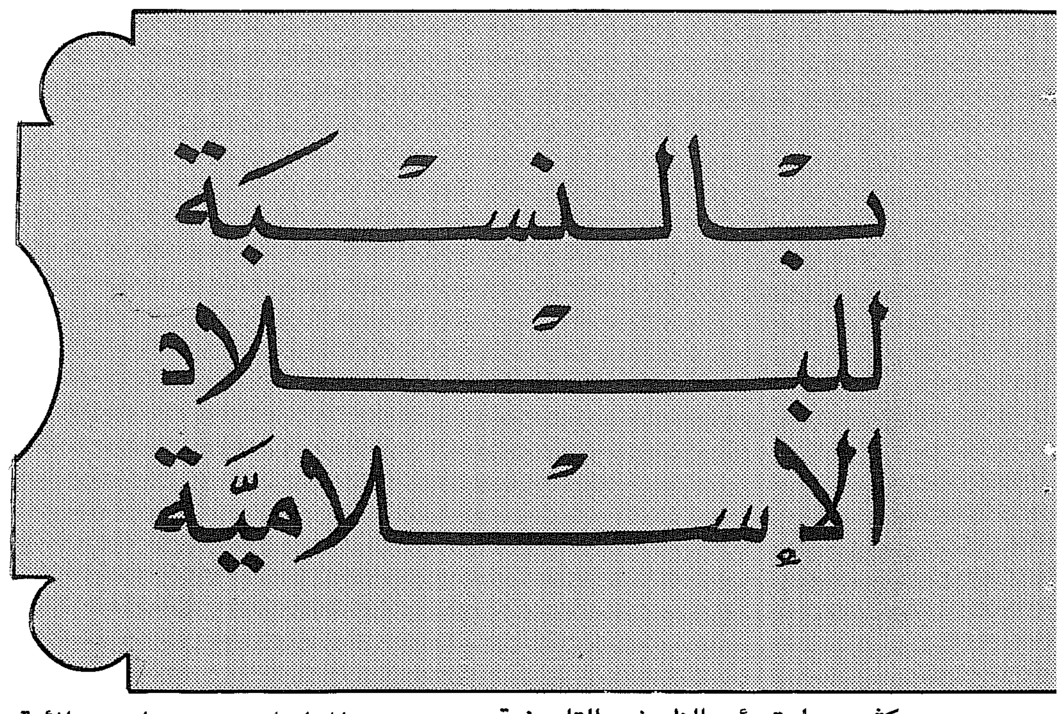
لهذا ، نقول : إن التقويم الهجري يجب أن يكون في معزل عن أي جدل ، لأن هذا التقويم قد تجسدت فيه الانطلاقة الرسمية لدولة الاسلام والمسلمين . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .



للاستاذ / مجدي عبد الفتاح سليمان

إن قضايا التنسيق والتكامل والوحدة والاندماج بين البلاد الاسلامية ، تعتبر من أهم أهداف الاقتصاد الاسلامي في الوقت الحاضر ، إذ أصبحت التكتلات الاقتصادية هي الطابع المميز حاليا للاقتصاد الدولي من أجل توحيد السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء تدريجيا ، وتنمية النشاط الاقتصادي داخل حدود الجماعة ، واستمرار هذه التنمية على أسس سليمة مصحوبة بالاستقرار اللازم ، مما يؤدي إلى رفع المستوى العام للمعيشة وزيادة درجة الاتصال بين الدول الأعضاء .

○ **والبلاد الاسلامية** تمثل مجموعة لها وضع خاص من الاقتصاد العالمي فهي تحتل مساحة شاسعة ، تمتد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا ، ومن تركيا شمالا إلى تنزانيا جنوبا ، وهي دول غنية بالموارد الطبيعية المعدنية والزراعية والحيوانية والنباتية ، وبنظرة موضوعية إلى الظروف الاسلامية في ماضيها وحاضرها نجد ما يؤكد فرصة نجاح العمل الاسلامي الموحد في مجال التعاون الاقتصادي ، أكبر



بكثير مما تهيئه الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية لأي مجموعة أخرى من دول العالم ، فلا يتوفر لدى مجموعة من مجموعات الدول المندرجة تحت أي من التكتلات الاقتصادية المعروفة ، وحدة العقيدة ، ووحدة اللغة ، ووحدة الكفاح ، ووحدة المصير ، ووحدة الظروف التاريخية والحضارية وتقارب الأماني والآمال مثل ما تحظى به الأمة الاسلامية .

○ **ولا شك أن هذه الامكانيات** تفرض على شعوب هذه الأمة ، توثيق أواصر التعاون الاقتصادي فيما بينهم ، من أجل تجميع القوى الاقتصادية ، وتوجيهها التوجيه السليم القائم على تحقيق معدلات عالية من النمو الاقتصادي ، ورفع المعاناة عن جماهير الأمة الاسلامية ، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال عمل إسلامي مشترك ، هو قيام التكامل الاقتصادي بين البلاد الاسلامية .

○ ماهية التكامل الاقتصادي :

تعددت تعاريف التكامل الاقتصادي لدى كثير من علماء الاقتصاد الوضعي لدرجة أن أصبح له تعريف لدى كل اقتصادي مشهور ، وإتماما للفائدة من هذه الدراسة سوف نشير ـ باختصار شديد ـ إلى بعض هذه التعريفات من أجل الوصول إلى التعريف المختار والذي يتلاءم مع دراستنا :

○ **فالاقتصادي المشهور تنبرجن** بين أن التكامل الاقتصادي يحتوي على جانبين أحدهما سلبي والآخر إيجابي ، فالجانب السلبي يعمل على إلغاء واستبعاد أدوات معينة من السياسة الاقتصادية الدولية ، أما الجانب الايجابي ففيه كثير من الاجراءات التدعيمية التي يراد بها معالجة الضرائب والرسوم بين البلاد التي ترغب في التكامل ، وبرامج إعادة التنظيم اللازمة لعلاج مشاكل النمو و الانتقال، وأن أفضل صورة ممكنة للعلاقات الاقتصادية بين البلاد المتخلفة تكون بإزالة العقبات أمام التعاون الاقتصادي بين هذه البلاد .

○ **أما الاقتصادي بيلا بلسا**

فيعرفه بأنه « تنسيق ونوع من الادارة ، فهو تنسيق لأنه يقوم على معايير الغرض منها إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية التابعة للدول المختلفة ، وهو نوع من الادارة ، إذ يتمثل في إلغاء الصور المختلفة للتميز بين الاقتصاديات الوطنية « أنظر بيلا بلسا ، نظرية التكامل الاقتصادي ، ترجمة محمد عبد العزيز أحمد ، ص ١٣ .

○ **مفهوم التكامل الاقتصادي في الاسلام :**

يعتقد كثير من الاقتصاديين الوضعيين أن فكرة التعاون والتنسيق الاقتصادي . فكرة حديثة العهد ، يرجع تاريخها إلى الخمسينات عندما أحست كثير من الدول الاوربية ـ في أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ أن حاجتها أصبحت ماسة إلى مجابهة الكتلتين الكبيرتين وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي .

● والواقع أن التاريخ الاسلامي ، خير شاهد على أن الاسلام أول من وضع أسس التعاون والتكامل الاقتصادي ، فالاسلام في الأصل هو وحدة الأمة الاسلامية ، حيث أنها أمة واحدة ووطن واحد ـ وإن قسمت إلى عدة أقاليم ـ وكان يرأس هذه الأمة أمير المؤمنين ، ويولي على كل إقليم حاكمافالحق تبارك وتعالى يقول : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الأنبياء/ ٩٢

وهذا التعاون والوحدة بين أفراد هذه الأمة الاسلامية جزء لا يتجزأ كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أنظر صحيح مسلم باب تراحم المؤمنين

● ويروى لنا المؤرخون أروع صور التكامل الاقتصادي في صدر الاسلام فيقول ابن الطقطقي : « وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد ، أحضر إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفرق فيهم على حسب مايراه صلى الله عليه وسلم ، وجرى

الأمر على ذلك مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة ، وهي خلافة عمر رضي الله عنه رأى أن الفتوح قد توالت ، وأن كنوز الأكاسرة قد ملكت وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم » أنظر ابن الطقطقي ، الفخري من الآداب السلطانية والدول الاسلامية طبعة القاهرة ص ٦٨ .

● ويحدثنا التاريخ عما فعله الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، فقد أمر ولاته أن يبدأوا بتغطية حاجات أقطارهم وما فاض وبقي يرسل إلى الخزانة العامة .. ومن قصر إقليمه عن تغطية حاجات أهله أمده الخليفة بما يغطي عجزه فيقول :

« استوعب الخراج وأحرزه من غير ظلم .. فإن يك كافيا للناس فحسنا ، وإلا فاكتب إلي حتى أبعث إليك من المال ما توفر به للناس أعطياتهم » أنظر كتاب خلفاء الرسول ، للأستاذ خالد محمد خالد، ولم يكن في هذا العصر الذهبي أية قيود على تنقل المسلمين من بلد إلى بلد آخر من أجل العمل أو التجارة أو الاستثمار ، ولم يتقيدوا بأي قيود جمركية بين الولايات المختلفة ، كما كان حق الملكية مكفولا لكل مسلم من كل بلاد الأمة الاسلامية .

أذن فالأصل في الاسلام التكامل الاقتصادي بين جميع الولايات في الدولة الاسلامية ، فلا يشتكي أمير من نقص أو فقر أو عجز وآخر عنده فائض ، بل يحدث انتقال فوري من صاحب الفائض إلى من لديه عجز ، ولقد كان بيت المال يعتبر قسما مهما من أقسام الديوان ، ولذلك سمي « بالديوان السامي » وذلك لحفظ أموال المسلمين و إثبات حقوقهم ، وإحصاء دخل الدولة من مواردها المختلفة ، وصادرها كرواتب الجند ، وأرزاق العمال ، والقضاة وأثمان الأدوات الحربية ، ونحو ذلك بما ينفق في سبيل المصلحة العامة للدولة (انظر د : بدوي عبد اللطيف ، الميزانية الأولى في الاسلام) .

○ أهمية التكامل الاقتصادي للبلاد الاسلامية :

التكامل الاقتصادي للدول الاسلامية ، يعد بمثابة قوة دافعة إلى تقوية الأمل المعقود على فتح آفاق تجارية جديدة ، ولا يمكن اكتشاف أهمية التكامل الاقتصادي إلا إذا ألقينا النظر على واقع الدول الاسلامية اليوم ، إذ به وانطلاقا منه يمكن رسم الطريق إلى المستقبل .

○ الواقع الاقتصادي للبلاد الاسلامية :

بالنظر إلى الواقع الاقتصادي للبلاد الاسلامية ، نجد أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يضم مجموعة من الدول الغنية .

القسم الثاني : يضم مجموعة من الدول الفقيرة .

وكلا القسمين يعاني .. ، فالفقر وكذلك الغنى هما مصدر لمشاكل الدول الاسلامية على الصعيد الدولي ، فالدول الغنية التي تحظى بموارد كبيرة ـ مثل الدول البترولية ـ مع قلة عدد سكانها ، نجد أنها لا تزال تفتقر إلى كثير من مقومات النمو المتوازن اجتماعيا واقتصاديا فمع التسليم بأن هذه الدول تحقق فائضا من موازين مدفوعاتها إلا أن المشكلة الأساسية التي تواجه هذه الدول هي كيفية المحافظة على القوى الشرائية لهذه الفوائض وتنميتها ، نظرا لأن حاجتها المستقبلية لهذه الفوائض كبيرة للغاية وبسبب قابلية ثرواتها الطبيعية للنفاد .

أما دول القسم الثاني : أي الدول الفقيرة فهي تحقق عجزا كبيرا في موازين مدفوعاتها ، وتبرز مشكلة كيفية تدبير النقد الأجنبي اللازم لتمويل هذا العجز ، ويزيد الأمر تعقيدا أن هذه الدول تحتاج إلى الفن التكنولوجي المتقدم ، الأمر الذي يجعل عملية استيراد الفن الانتاجي المتقدم تشكل عبئا إضافيا على ميزانية هذه الدول .

وبالنظر إلى العالم الاسلامي كوحدةكبيرة ، نجد أنه يتمتع بثروة بشريةهائلة يمكن أن تكمل فيها المناطق الكثيفة السكان المناطق التي لا تجد حاجتها الكافية من الأيدي العاملة .

ويتمتع العالم الاسلامي بقدر وافر من الموارد الزراعية غير المستغلة أيضا ، بينما تشكو مناطق كثيرة من قلة موارد الطعام وسوء التغذية ، ويضاف إلى ذلك أن أراضيه تحتوي على كثير من الموارد المعدنية لاتزال دون استغلال ، وصناعات ومنتجات كثيرة راكدة دون تصريف .

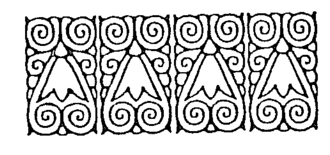
● من أجل هذا نرى أهمية قيام التكامل الاقتصادي بين البلاد الاسلامية حتى يتم التنسيق بين إمكانيات البلاد الاسلامية ، بحيث يكمل كل منها الآخر ، وهو ما يحقق أكبر استفادة من إمكانيات كل دولة إسلامية دون راكد أو فاقد ، ولعل من أبرز الأمثلة : أن مصر لا تملك أساسا من مقومات التنمية سوى القوى البشرية وبعض الموارد الطبيعية ، في حين أن السودان والصومال لا تملكان سوى الأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة ، ودول الخليج العربي لا تملك سوى رؤوس الأموال الفائضة ، وفرص تثمير هذه الأموال في هذه البلاد قليلة نسبيا بسبب ندرة عناصر الانتاج الأخرى من أرض زراعية وموارد طبيعية ، وقد أكد الدكتور شوقي الفنجري على أن الوفرة لدى بعض الدول ، والندرة لدى البعض الآخر ، هي سنة الله ولن تجد لها تبديلا ، وذلك بهدف تحقيق التعاون والتكامل فيما بينهاليسبغ الله عليها نعمته وإلا حقت عليها نقمته ، وظلت تدور في حلقة من التخلف والضياع .. لا يخرجها منها سوى ما أراده الله لها من التعاون والتكامل (انظر ـ د .

القنجري ، المذهب الاقتصادي في الاسلام). وقد أوضح الاستاذ حسن عباس زكي واقع البلاد الاسلامية في نقاط هي : سوء توزيع الثروة ، اقتصاد ذو سلعة واحدة ، وندرة رأس المال الحقيقي ، وندرة الايدي العاملة ، وانخفاض مستوى المعرفة التقنية ، وعدم الاستفادة من أساليب الانتاج المتقدم ، وعدم التنسيق بين الخطط الاقتصادية والانتاجية ، ويؤكد الاستاذ حسن عباس زكي على أنه كان من آثار ذلك تدهور شروط التجارة بالنسبة لمعظم صادرات هذه الدول ، وصعوبة انتقال رؤوس الأموال والأيدي العاملة بين البلاد الاسلامية ، مع نقص التعاون فيما بينها في مجالات المعاملات المصرفية والمالية والتأمين والنقل والمواصلات (انظر الاستاذ : حسن عباس زكي ، التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية ، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الاسلامي)

○ مزايا التكامل الاقتصادي بين البلاد الاسلامية :

يعمل التكامل الاقتصادي على خفض تكاليف انتاج الوحدة من الناتج نتيجة لعدم زيادة التكاليف الثابتة زيادة تتناسب مع الزيادة في المنتج ، والسوق الواسع يعمل على زيادة تخصيص العمالة إلى أقصى درجة ويعمل أيضا على تطوير الانتاج بحيث يتلاءم مع أحدث الأساليب العصرية ، لأنه أقدر من السوق الصغير على إنشاء مراكز الأبحاث ذات التكاليف المرتفعة التي تعمل على الابتكار والاختراع والتطوير ، ويؤدي اتساع السوق إلى زيادة القوى الشرائية وارتفاع في المستوى المعيشي الحقيقي للأفراد ، حيث تبدأ السياسات الحقيقية للتنمية الاقتصادية ، فالزيادة في الاستهلاك تؤدي إلى زيادة في الاستثمار وزيادة في الطلب الفعال نتيجة لزيادة القوى الشرائية ، والسوق الكبير سيؤدي إلى تنسيق السياسات الخاصة بالتوظيف ثم العمل على رسم سياسة عليا للتوظف يمكن بموجبها التغلب على العقبات المحلية التي تعترض كل دولة في سبيل إقرار العمالة الكاملة في الداخل ، ومن ثم فإن التكامل - في شكل وحدة كبرى - سيعمل على زيادة فرص التوظف .

وثمة ميزة أخرى أن التكامل وما يؤديه من خلق سوق مشتركة سيؤدي في الأجل الطويل إلى التقليل ما أمكن من أثر وجود نقص مفاجىء في الانتاج ، وبذلك يمكن للطلب الفعال أن يقوم بدوره داخل نطاق السوق ويؤثر على الناتج والتوظف ، كما أن للتكامل الاقتصادي مزايا عديدة من الناحية السياسية .

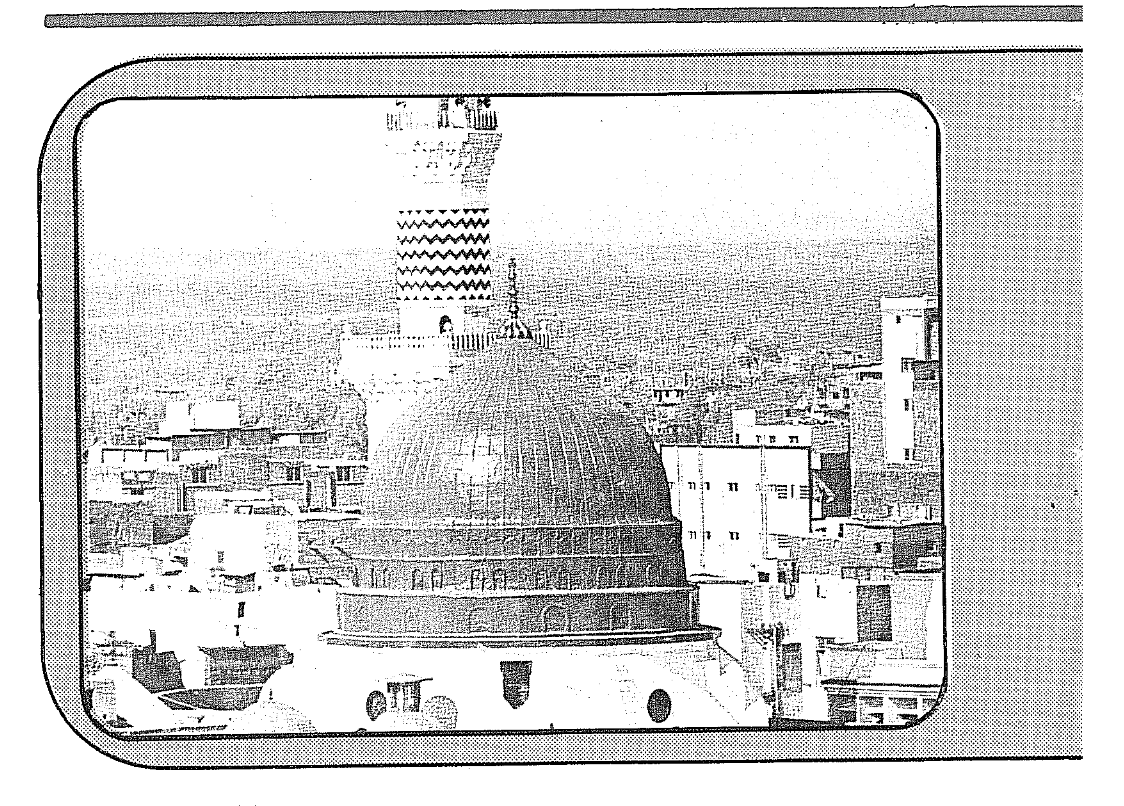




للأستاذ/ اسماعيل عبد الفضيل خير الله

لقى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه من ضروب الأذى والايذاء والقسوة مالقوه فصبروا وصابروا ولاذوا إلى الله المعين النصير ، وكان رسول الله الأسوة الحسنة في التحمل يؤكد لهم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا .

عندما قدم خباب بن الأرت تقريرا للنبي صلى الله عليه وسلم عن سير الدعوة وما يكتنفها من عقبات ويوضع أمامها من معوقات قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن من كان قبلكم كان يؤتى بالرجل فتحفر له الحفرة ويوضع فيها وينشر بالمنشار ويشق نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يخرجه ذلك عن دين الله ، ثم يقسم بأن الله ناصرهم فيقول : « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» صدق رسول الله - رواه البخاري وقد اختصت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها كانت مستندة إلى بواعث وأهداف سامية حاملة أسمى هدف للانطلاق بالدعوة من مكانها الى شتى بقاع العالم من المكان المحدود والحيز الضيق الى الشمول والعموم وان الله



أيدها ورعاها بعنايته ورعايته .

آية الهجرة

قال الله تعالى : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** » التوبة/٤٠ .

مضمون الآية الكريمة

إلا تنصروه فقد نصره الله : اي فسوف ينصره الله ويقف بجانبه يؤازره ويؤيده حتى تعلو كلمة الله ، وهذا وعد من الله لرسوله فقد نصر الله الرسل جميعا ، وخذل أعداءهم فابراهيم عليه السلام نصره على قومه حين أرادوا إحراقه والقضاء عليه ولكن الله تعالت قدرته أمر النار بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ، وبذلك تحطم أمر الكفار ولم يفلحوا فيما قدموا عليه من شر ، ويونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت أمره الله أن ينبذه بالعراء وأنبت بجانبه شجرة من يقطين ، قال تعالى : (**فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) الآية ١٤٣ و١٤٤/ الصافات .

ونجى الله موسى وقومه من فرعون وأغرقه وصدق الله العظيم : (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا**) غافر/ ٥١ .

ثاني اثنين : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر الصديق وحق لأبي بكر أن يكون صديقا لملازمته للرسول في الشدة والعسرة .

الغار : ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة تقريبا ، وحين وصل الرسول وأبوبكر إليه دخل أبوبكر قبل الرسول حتى يقيه شر الهوام وأقاما به ثلاثة أيام .

روى الامام البيهقي : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر عجبا ، رآه مرة يسير أمامه ومرة يسير خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا فقال يا رسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك واذكر الرصد فأكون أمامك ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني قال نعم والذي بعثك بالحق » .

استبراء الغار :

ولما وصلا إلى الغار وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيه قال له الصديق : مكانك حتى استبرىء لك فإن كان به أذى نزل بي قبلك ، ثم نزل فتحسس الغار فلم يجد به شيئا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغ منه الاعياء والتعب مبلغه ، فما إن دخلا حتى توسد الرسول قدم أبي بكر ونام . روى أن الصديق كان يأخذ من ثوبه ويسد فم الأحجار خشية أن يكون بها شيء من الهوام فتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى منها جحر فألقمه عقبه ، وكانت به حية فلدغته ، وعندما اشتد عليه الألم تحدرت دموعه فسقطت على وجه - رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ فقال : مالك يا أبا بكر فأخبره بما حدث فتفل عليها رسول الله فبرئت باذن الله » فأبو بكر رضي الله عنه يقدم نفسه على رسول الله حتى يصاب ولا يصاب الرسول محافظة على الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظا وأمنا عليه .

« العنكبوت ينسج خيوطه على باب الغار »

ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه واستقرا في الغار هذا المكان الموحش الذي لم تطأه قدم إنسان ، هل يتركهما الله وحيدين فريسة للأعداء يفتكون بهما كلا فلا يمكن أن يخذلا ولقد صدق الشاعر في قوله :

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

روى الامام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل هو وصاحبه الغار أمر الله شجرة فنبتت على فم الغار ، وانتشرت أغصانها ، وألهم العنكبوت فنسجت على أغصان الشجرة ، وألهم حمامتين وحشيتين فعششتا وباضتا بين أغصان الشجرة

وقد كان لهذه الآيات الثلاث أثرها في تضليل المشركين ، وصدهم عن اقتحام الغار وخذلانهم وهكذا حفظ الله نبيه ووقاه هو وصاحبه بأضعف مخلوقاته وتحقق قول الله تعالى : **(فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)** ٦٤/يوسف .

لا تحزن إن الله معنا :

نهي من الرسول صلى الله عليه وسلم لصديقه أبي بكر وطلب منه بألا يحزن ولا يتألم لما يراه من المشركين وترتب على هذا أن أفلت النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار الذين جعلوا لمن يأتي به حيا أو ميتا مائة ناقة وبعثوا الرجال للبحث عنه علهم يجدونه كسراقة بن جهم وكانوا يتبعون الأثر وساروا حتى وصلوا الى جبل ثور ، ثم صعدوا الجبل حتى وقفوا على فم الغار ، وأخذوا يتساءلون في دهشة : إذا كان محمد قد دخل الغار فكيف لم يتمزق نسيج العنكبوت ، ولماذا لم يتحطم بيض الحمام ؟ وأعمى الله أبصارهم فقال أحدهم : إن منظر العنكبوت لمن قبل ميلاد محمد .

فالله هو مصدر الأمن والثقة والحفظ ، ويروى أن الكفار كانوا واقفين على فم الغار يتحدثون بمسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر ، وكان شديد الخوف على رسول الله حتى قال :

يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها .

ويستفاد من ذلك أنه حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أيد الله نبيه وأعقب ذلك فأنزل الله سكينته لأن الفاء تفيد التعقيب كما يقرر علماء اللغة ، فانزال السكينة حدث بسرعة خاطفة تأييدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الشاعر العربي في هذا الموقف الأبيات الآتية :

تباركت يا الله أعطيت أحمد
نعائمك العظمى وأفضالك الغرا
ففي الغار قد باض الحمام لوقتها
وفي الغار حاك العنكبوت له سترا
رأته عيون الكافرين فأغمضت
وكان عمار الغار في عينهم قفرا
فسبحانك اللهم تلك حمامة
على ضعفها الملحوظ حيرت الكفرا

خروج الرسول وصاحبه من الغار ووصف أم معبد لرسول الله :

وبعد ثلاث ليال وقد هدأ الطلب ويئس المشركون خرج الرسول وأبو بكر من الغار وفي الطريق إلى المدينة مر الرسول صلى الله عليه وسلم بأم معبد ، هذه المرأة العربية ضربت أروع المثل في الشهامة والعفة والمروءة والانسانية والوفاء فكانت بحق من خير النساء وقد وصفت النبي بما يعجز عنه بيان غيرها :

روى ابن هشام وغيره قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر مروا بأم معبد واسمها : عاتكة بنت خالد . ويحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على خيمتها هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما ، وكانت أم معبد برزة جلدة تختبىء بفناء القبة ، ثم تسقي وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا ، وكان القوم مرملين مستنين « مرملين : نفدت أزوادهم » فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة بكسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ،

قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ! إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها ، فسمى الله تعالى ، ودعا لها في شأنها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يريض الرهط ، فحلب فيه ثجا ، حتى علاه لبنها ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم صب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الاناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها على الاسلام ، ثم ارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ؟ والشاة عازب حيال ، ولا حلوب في البيت ؟ قالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ، قال : صفيه يا أم معبد ، قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، مبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، « عظم البطن » ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج «شدة سواد العينين » وفي أشفاره وطف «طول وغزارة » وفي صوته صحل ، أحور أكحل ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطح وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش ، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، لو رأيته لاتبعته ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

هل الهجرة كانت ضرورة ؟

نعم الهجرة كانت ضرورة فهي مقرونة ببعثته صلى الله عليه وسلم

فحين بعث وأرسل إليه كان تصديق بعثته مقرونا بأنه سيهاجر يقول ورقة ابن نوفل : إنك لنبي هذه الأمة وإن الذي يأتيك لهو الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى ولتكذبن ولتعذبن ولتخرجن ولتقاتلن ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لورقة أَوَ مخرجيّ هم ؟ قال : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا يعلمه الله .

الأنبياء ضربوا أروع الأمثلة في الهجرة :

يعقوب عليه السلام هاجر من أرض العراق فرارا من حسد أخيه لأن أباه دعا له بالبركة فخرج يطوي الأرض ويسير في الصحراء مهاجرا .

وابراهيم عليه السلام هاجر إلى بابل وهي أرض بالعراق ثم عزم على الهجرة ومعه زوجته سارة .

ولوط ابن أخيه يقول الله تعالى : **(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم)** ٢٦ / العنكبوت ، ونزلوا الشام وأقاموا بمدينة نابلس يقول الله تعالى : **(ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)** ٧١/ الأنبياء ، واضطر ابراهيم إلى الهجرة الى مصر حيث المراعي الواسعة والمزارع الشاسعة .

وموسى عليه السلام هاجر من مصر ، فقد وجد رجلين يقتتلان أحدهما عبري والآخر فرعوني من أصحاب القوة والسلطان فسأله العبري أن يعينه على الفرعوني فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان لأنه لم يرد قتله قال تعالى :

(وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) القصص/ ٢٠ و ٢١ .

« العبادات هجرة إلى الله »

الصلاة هجرة إلى الله حين يتوجه المرء بقلبه لله ويترك الدنيا ومتاعبها وما فيها ومن فيها أمام الله ، ويقول الله أكبر ويناجيه وتخشع نفسه ويستغرق مع ربه .

والصوم هجرة عن الطعام والشراب واللغو وكل ما يغضب الله ويسبب المساوىء والآلام والزكاة هجرة إلى الله بترك الشح والتقتير والامساك بالمال وبذلها للفقراء والمساكين ابتغاء مرضاة الله .

والحج هجرة الى بيت الله وترك الأهل والأقارب وأداء مناسكه والتمتع بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأداء هذه الفريضة .

وتلاوة القرآن الكريم فيها هجرة إلى الله بالتدبر في آياته فهو ليس مجرد

ألفاظ ولا حروف ولا ورق ولكن هو القوة الروحية الفعالة وهذه القوة هي التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم لحظة الهجرة بعد أن فرغ من تسليم الأمانات التي في ذمته وسلمها الى علي كرم الله وجهه ، وبعد أن أعطاه عباءته لينام فيها ، ثم انطلق صلى الله عليه وسلم نحو الباب مبتدئا بتلاوة أول سورة يس حتى اذا بلغ الباب حيث كان هناك أربعون شابا بيد كل منهم سيف بتار ، وقد أصروا وأسروا أن يضربوه ضربة رجل واحد ، ولكنه فتح الباب وهو يتلو قول الله تعالى : (**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) يس/٩ فغشيت أبصارهم وعميت أنظارهم ليس من جانب الحروف ولا الصوت ، ولكن من جانب قوة الروح وكمال الاستعداد .

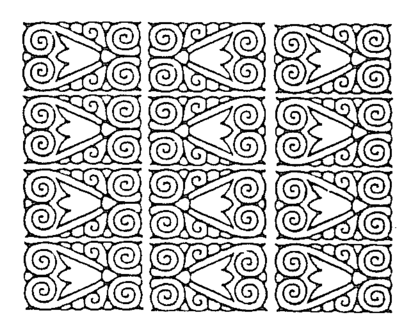
دروس من الهجرة

علينا أن نتخذ من حادث الهجرة ما ينير لنا الطريق ويشرح الصدور لنترسم خطة النبي صلى الله عليه وسلم في الاصلاح .

نتتبع الهجرة فنهجر الرذيلة والمساوىء ، ونملأ فراغنا وفراغ شبابنا بالعمل النافع الجاد وأن نخلق فيهم رقابة الضمير الذي يدفعهم الى أن يتركوا كل فساد ، ويهجروا كل بغي ونقيصة ويسيروا وراء كل اصلاح ونهضة وتقدم .

يهجر شبابنا الى العلم والثقافة ، فهما مفتاح الحضارة ، ويتزودون بكل جاد ومفيد ويرتادون المكتبات ودور العلم ، حتى تتفتح عقولهم وتصقل مواهبهم ، ويحققوا أمل أمتهم فيهم .

عندئذ نكون قد حققنا قول الله تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) . آل عمران/١١٠ .





للدكتورة/نفيسة ابراهيم ياجي

إن المجتمع يتكون من أفراد وأسر وافكار ونظم وتقاليد وإذا كانت الافكار والنظم والأعراف اسلامية كان المجتمع اسلاميا ..

والاسرة لبنة هذا المجتمع ولا يصح معالجة امورها منفصلة عن بيئتها ، وقد كانت معالجة شئون المرأة وما زالت في المجتمعات الغربية تقوم على ناحيتين :

الأولى : النظرة اليها على انها فرد ذو كيان منفصل عن الرجل والمجتمع ومن ثم كانت قضية المرأة تعالج من هذه الزاوية وتوضع التشريعات لها على هذا الاساس ، فقضية تربيتها وتعليمها وعملها وغيرها عولجت منفصلة عن الأسرة والمجتمع ، وذلك نتيجة لطغيان النظرة الغربية إلى الحياة القائمة على اعطاء مفهوم الحرية الشخصية معنى استقلاليا .

الثانية :اغفال كونها انسانا ذا طبيعة مختلفة في التكوين عن الرجل تشترك معه في صفات الانسانية العامة وتختلف عنه في التكوين

الفطري الذي هيأها لتكون أما وربة بيت ، وهيأه ليكون أبا مسئولا عن بيته ، يعمل كل في حدود طبيعته .

وهذا الاغفال أدى إلى أن ينظر الرجل إلى المرأة على أنها دونه مما أدى إلى أن يغمطها حقها ويعاملها على أنها متاع لا انسان ، ودفع هذا المرأة في تلك المجتمعات إلى المطالبة بما اسمته حقوقها كإنسان وناضلت من أجل ذلك ولكن الرجل استطاع أن يحول هذا النضال في طريق المرأة في صورة المساواة المشوهة .

وإذا كانت الأسرة جزءا من المجتمع فلابد إذن أن يهيمن عليها معنى المجتمع ومادمنا بصدد الحديث عن المرأة في مجتمع الاسلام فالاسلام له نظرته للانسان والحياة وطريقته الخاصة في الحياة ومعالجته لقضاياها ومشكلاتها على اساس :

أولا : العقيدة الاسلامية :

وما يتفرع عنها من فروع تحصن العقيدة وتبعدها عن جراثيم الفساد الفكري والخرافات والاوهام (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) الروم (٣٠)

ثانيا الايمان بأن الدين الاسلامي موجه الحياة وأن السيادة لاحكام الشريعة الاسلامية ، وكل مافي المجتمع من شئون الحياة يخضع لهذين الاساسين :

فاذا انتظم معنى المجتمع والأسرة جزؤه والمرأة أهم عضو فيه كان تحديد مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة اذن غير عسير في ضوء التعاليم الاسلامية .

إن القرآن الكريم قد اوضح المساواة بين الرجل والمرأة في قوله تعالى : (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) البقرة/٢٢٨ وقوله تعالى : (**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**) النساء/٣٢ ولا شيء يمكن أن يكون أوضح من هذا .

وقد طرحت نظرية تقول إن المرأة ليست مساوية للرجل في كل شيء ، ذلك أنها تعاني نوعا من العجز وأنها مخلوق ضعيف بالفطرة لا يقوى على مهام الحياة الكبرى وقد دار الجدل في هذا الموضوع قديما وحديثا ، فقيل لو كانت المرأة تتمتع بحق المساواة مع الرجل فهل ظهرت المرأة نبية ولو مرة في التاريخ ؟ والحقيقة الواقعة هي أن الرجال وحدهم كان منهم الانبياء ، وهذا يوضح أن المرأة لا تتمتع بالمساواة مع الرجل .

غير أننا يجب أن نذكر من العلماء مثل ابن حزم ، والقرطبي والاشعري ، فانهم رأوا ان النبوة قد اوتيت لبعض النساء . وروى ابن حزم أن هناك نساء قد كرمن بالوحي مستدلا بقوله تعالى (**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**) القصص/٧ وقوله تعالى (**إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**) طه/٣٨ ويذكر ابن حزم أن لفظ الوحي هنا قد نسب إلى أم موسى

مما يشير إلى أنها كانت نبية ، وقال ابن حزم إن القرآن الكريم يقول عن مريم عليها السلام (**واذكر في الكتاب مريم**) مريم/١٦ ، واذا اعتبر أن مريم وصفت في القرآن الكريم بأنها صديقة فان هذا لا ينفي عنها وصف النبوة لأن هذا الوصف قد استعمل في حق يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء قال تعالى : (**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا**) مريم/٥٦ .

وقال القرطبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من النساء أربع نبيات ، حواء ، واسيا (امرأة فرعون) وأم موسى ، ومريم » القرطبي ج ٩ص ٢٧٤ ونقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات وحصرهن ابن حزم في ست : حواء وسارة وهاجر ، وأم موسى وآسيا ومريم واسقط القرطبي سارة وهاجر وقال الصحيح أن مريم نبية .

وقال القرطبي في موضع آخر في تفسير قوله تعالى : (**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا**) يوسف/١٠٩ إن كلمة رجالا هنا قد استعملت في مقابلة كلمة ملائكة والمعنى أن الله تعالى « لم يصطف للنبوة ملائكة بل رجالا ، وعلى هذا فكلمة رجالا هنا تعني الرجال والنساء .. القرطبي الجامع لاحكام القرآن ج ١١ ص ٢٧٤ ..

نعود للتركيز على الموضوع بالذات « وهو المرأة في مجتمع الاسلام . فقد جعل الاسلام الرجل والمرأة من نفس واحدة في قوله تعالى : (**يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) النساء/١

وقد عزز الاسلام مكانة المرأة في الاسرة الزوجية فجعل الرابطة بينها وبين زوجها سكينة واطمئنانا : (**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**) الاعراف/١٨٩ وأقر لكل منهما على الآخر حقوقا ، وقد فاضل الاسلام بين الزوج والزوجة فيما يصعب التسوية فيه .

اذ أن المساواة لاتعني دائما المماثلة والمطابقة وإنما تعني مراعاة ألامكانات وألاستعدادات التي يجب أن توضع في اطارها الملائم لها . ومن ذلك قوله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**) النساء/ ٣٤ والمقصود بذلك الامعان في تكريم المرأة لا التسلط عليها . بل فرض الاسلام مسؤوليات مادية على الرجل تتفق مع طبيعته . ذلك بتقديم المهر للزوجة والانفاق على الاسرة ، والنهوض بالاعباء المادية وهو أقدر على ذلك بالنسبة إلى رقة تكوين المرأة الجسماني وطبيعتها .

فبهذه الاشارة القرآنية الكريمة نبه الرجل إلى واجبه الشرعي في العمل والانفاق ، وبين عدم مسؤولية المرأة ماديا تجاه الأسرة مما يربط ذلك بقانون الميراث للذكر مثل حظ الانثيين . هذا مع العلم أن تكاليف المرأة المالية مدفوعة عنها في مختلف حقب حياتها ، فالأب مسؤول عنها قبل

الزواج والزوج بعد الزواج والابناء مسئولون في حال وفاة الزوج ، وعلى هؤلاء تقع المسئولية سواء أكانت قادرة ماليا أو غير قادرة وليس عليها أن تنفق من مالها على الأسرة الا بمحض اختيارها .

وفيما عدا ذلك فقد سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الأمور الدينية ـ والمعنوية والأدبية والعلمية ، وقد بدأت هذه النظرة المتساوية في رحاب الاسلام منذ بدء الدعوة الاسلامية فأقر الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة المرأة فجعلها بذلك في منزلة الرجل في نظرة الاسلام إليها على أنها جزء اساسي من المجتمع البشري قال تعالى : **﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾**

الممتحنة/١٢ فللنساء اذن بيعة في القرآن الكريم كما للرجال تقول السيدة عائشة رضي الله عنها كن اذا هاجرن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم امتحن بقول الله تعالى وإذا اقررن ذلك كان يقول لهن انطلقن فقد بايعتكن .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب في استفساره عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة « الا اخبرك بخير ما يكتنز ؟ المرأة الصالحة إذا نظر اليها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته » رواه ابو داود

والطاعة هنا ليست بمعنى التسلط والامر وانما هي في الحقيقة بمعنى الارادة في تحقيق رغبات الزوج بغية إسعاد البيت والاسرة وقد وضعت الشريعة الاسلامية في مقابل الطاعة أو الاستجابة قيودا مادية ومعنوية لمصلحة المرأة قيدت بها الرجل .

والظاهر أن الرجل في ذلك العهد كان يلجأ الى ضرب المرأة لتقويمها وتأديبها الأمر الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يستنكر هذه العادة ويقاومها من الناحية العملية عن طريق الدعوة الى الاقلاع عنها ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها « ما ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط ، ولا خادما ولا ضرب شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله » .

وكذلك نهى الرجال عن عادة ضرب النساء عندما شكا اليه سبعون امرأة رجالهن فقال صلى الله عليه وسلم « أيظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يظل يعانقها ولا يستحي » رواه البخاري .

الآن نعود للنظر في فعالية المرأة في الأسرة وهي جزء المجتمع بعد أن رأينا الأهمية التي يعطيها الاسلام في تعزيز مكانة المرأة فالاسلام قد ربط بين جهود الفرد كلبنة في بناء الأسرة وبين الأسرة كلبنة في بناء المجتمع على أساس من التكافؤ والتفاهم والمودة والانسجام ، وقد كانت نظرة الاسلام لهذه الصور من العمق حيث تشدد

منذ البدء في سلامة تكوين الأسرة ولم يهمل تلك الظروف التي تعد وتساعد على بناء اسرة قوية سليمة ، تهيء لها الظروف الاجتماعية والاقتصادية فتعيش حياة سعيدة منتجة خيرة لنفسها ولمجتمعها ، وقد سوى بين جهود المرأة والرجل في تدعيم الأسرة وبالتالي بناء وتدعيم المجتمع . واذا كانت الأسرة جزء المجتمع فالزواج اصل الأسرة .

ومن أهم أهداف الزواج أن يكون للانسان بنين وبنات تتجدد بهم حياة الزوجين وتقر أعينهما وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم الى هذه الحقيقة بقوله تعالى : (**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات**) النحل/٧٢ وقال تعالى في الرسل وفي مدحهم : (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**) الرعد/٣٨ كذلك مدح الاولياء الصادقين بسؤلهم في دعائهم فقال تعالى : (**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**) الفرقان/٧٤ ويرى الاسلام في صلاح الابناء سعادة ينشدها الآباء ويدعون الله تعالى أن يوفقهم اليها يقول تعالى عن النبي زكريا عليه السلام : (**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**) آل عمران/٣٨

وهذا يؤكد ترغيب الاسلام في بناء الأسرة ، فمنذ بدء تكوين الاسرة عزز الاسلام مكانة المرأة وكان أول ما بدأ به تحريم وأد البنات فنزلت آيات كريمات مطمئنة للفقراء بأن الله تعالى سيرزقهم وأولادهم بنين وبنات وأن قتلهم خطأ كبير وقد نزل ذلك في أكثر من سورة قال تعالى : (**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**) الانعام/١٥١ وقال لغير الفقراء : (**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا**) الاسراء/٣١

وقد خص البنات بالذكر في هذا المجال في أكثر من آية قال تعالى : (**واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت**) التكوير/٨ و ٩ كما حذرهم من سخطهم من وجود البنات (**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**) النحل/٥٨، ٥٩ ومن ثم وضع الاسلام حدا لوأد البنات ولم يقف عند تحريم الوأد وانما امتد الى التوصية خيرا بالمرأة واكثر من ذلك ، ولعل سبب الاكثار هو الرغبة في أن يمحو من الأفكار ما تركز فيها من ظلم المرأة ، وكتب الحديث والتاريخ الاسلامي مليئة بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لهن والحث على اعلاء شأنهن والاستئناس بهن أليس هو القائل أوصيكم بالنساء خيرا .. وعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » **متفق عليه** .

ثم إن حب الرسول صلى الله عليه

وسلم لبناته وبناتهن وبنات اصحابه كان أمرا غير مألوف عند العرب ، وقد تجلى ذلك في حبه واعجابه لابنته فاطمة في قوله « خير نساء العالمين مريم بنت عمران ، واسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يردد دائما ان ما يسوء ابنته فاطمة يسوؤه وأن ما يسرها يسره .

وقد شدد الاسلام في احترام الأم ودعا الى حسن معاملتها وبخاصة عندما تبلغ الكبر فتفقد قوتها وتصبح بحاجة الى مزيد من العناية والرعاية امتثالا لأمر الله تعالى في قوله : **(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الاسراء/٢٣ و ٢٤ وقد جاء في ذلك ايضا : **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)** لقمان/ ١٤ وكذلك قوله تعالى : **(ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته امه كرها ووضعته كرها)** الاحقاف/ ١٥ .

وروى أن رجلا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال امك ، قال ثم من قال امك ، قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك » رواه مسلم وروى ان رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد فقال له : « أحي والداك » قال نعم قال « ففيهما فجاهد » رواه البخاري ومسلم .

نرى مما ذكرنا أن الاسلام رفع عموما مكانة المرأة وعزز دورها في الأسرة وقد أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم أما وبنتا واختا وجعل الجنة تحت اقدام الامهات ولم يفته أن يشير اليها في خطبة الوداع حين قال استوصوا بالنساء خيرا .

وهذه النصوص والآيات الكريمات كان لها أثر كبير في تعزيز مكانة المرأة ورفع قدرها في الأسرة والمجتمع .
وكما احسن الرسول صلى الله عليه وسلم معاملة اهله طلب من المسلمين أن يفعلوا مثله وقال دينار اعطيته في سبيل الله ودينار انفقته على أهلك هو أعظم أجرا . ويقصد باهلك الذكور والاناث على السواء وقال أيضا في وجوب تكريم الاسرة « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »رواه ابن حبان في صحيحه .

وكانت النساء عامة ترتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجدن من الحرية والتشجيع في حضرته ما يجعلهن يقلن ما شئن وبالطريقة التي يخترنها ، روى ابن سعد في طبقاته الكبرى « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه وباصوات عاليه فلما دخل عمر دخلت النساء ، واحتجبن فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عمر : اضحك الله

سنك يا رسول الله ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ضحكت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك بادرن الى الحجاب فقال عمر : يا عدوات انفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » رواه البخاري ومسلم واحمد .

وقد حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على قدسية الاسرة ومارس بنفسه إكرام المرأة واحترامها فكان يحسن معاملة زوجاته ويحترم آراءهن وقبل أن يراجعنه فيما لا يرضين به حتى أصبحت هذه المعاملة الحسنة قدوة لغيره وفي حديث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فصحت على امرأتي فراجعتني فانكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن اراجعك فوالله أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه .

والاسلام قد حث دائما على التواضع والاحتشام بين النساء كعنصر لازم لحفظ الوئام الأسري والاجتماعي والمنزلي ومن ثم فهو يقدر حرمة البيوت قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم**) النور/٢٧ و ٢٨ .

والاسلام الذي نوه باهمية الزواج والانجاب لبناء الأسرة لم يتركها دون تخطيط ولتكون قوية البنية سليمة التركيب ايجابية في فعاليتها عليها أن تتعاون في سبيل ذلك ..

فبعد أن حدد الاسلام العلاقات بين الزوجين ثم بين الابوين والاولاد اعتبر الاولاد امانة يجب القيام على رعايتهم والعناية بهم والانفاق عليهم حرصا على مستقبلهم واعدادهم لمواجهة مشاكل الحياة يعني تحصينهم ضد الجهل والفقر والمرض وتدريبهم على ممارسة شؤون الحياة الفاضلة .

وهنا نرى مكانة المرأة ودورها كالرجل في بناء الأسرة ، هذا الدور الذي يجعلها شريكة في المسؤولية ، مسئولية تأمين مأكل الاولاد وملبسهم وفي حالة المرض تأمين الدواء والمعالجة كما على الوالدين تربيتهم تربية صالحة وان يزرعوا في نفوسهم الخلق الحسن وأن يسووا بينهم في المعاملة لا فرق بين الذكر والانثى ولا بين الكبير والصغير وان يكون الآباء قدوة حسنة لهم .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله يجزي الوالدين ثوابا عظيما فيقولان يا ربنا أنى لنا هذه ولم تبلغها اعمالنا فيقال : هذه بتعليمكما ولدكما القرآن وتبصيركما اياهم بدين الاسلام » .

وعن النعمان بن بشير الصحابي الجليل قال تصدق علي ابي ببعض ماله فقالت أمي لا أرضى حتى تشهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي اليه ليشهده على صدقتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفعلت هذا بولدك كلهم » قال : لا فقال « اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم » رواه البخاري ومسلم فرجع ابي في تلك الصدقة ..

وقد أكدت النصوص الاسلامية على مسؤولية الوالدين في تنشئة وتربية الاطفال وبالتالي في تنمية الاسرة نجد أن معظم النصوص تسوي بين مسئولية الأب والأم وهي لا تخص الأب ولا تعطية دورا مميزا وهذا يعني أنها تشمل المرأة والرجل معا .

والاسلام قد اهتم بتهيئة مناخ البيت ومدى أثر طبيعة العلاقات بين الزوجين سواء سلبيا أم ايجابيا في نمو الأطفال نموا جيدا وصحيحا عقليا وعاطفيا ونفسيا وإيجاد التوازن في هذه العناصر ، ولذا أوصى بالهدوء والسكينة والمودة والرحمة وحسن المعاشرة والاحترام المتبادل بين الابوين لكي يكونا القدوة الحسنة لأبنائهما . هذا مع التذكير بماسلف فالاسلام قد ترك المجال رحبا لترتاده المرأة اذا وجدت ضرورة لأن تعمل خارج البيت دون أن يمنعها العمل من تأدية حق الأسرة عليها ونجد نصوصا تستطيع أن نستنتج منها السماح لها بالعمل منها قوله تعالى : **(أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض)** آل عمران/ ١٩٥ وقوله تعالى : **(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)** النساء/ ٣٢

ولعل المنع متأت من أن العمل خارج نطاق الأسرة سيعوق المرأة عن تأدية رسالتها البيتية ، كما أن العادات غير الاسلامية التي دخلت على كثير من المجتمعات الاسلامية كانت من أسباب التشدد والمنع ، فالمجال مجال اجتهاد بحسب الظروف ، واذا كان الاسلام قد سوى بين المرأة والرجل في مجال العمل الا أنه قد رفع عن المرأة وجوب الانفاق من مالها على بيتها ونفسها ولها أن تحتفظ باموالها ، وان كان التعاون هو طبيعة الحياة الزوجية في الاسلام ، لكن هذا التعاون في الناحية المالية هو اختياري يحثها عليه ولا يوجبه :

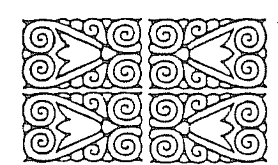
ولو استقرأنا تاريخنا الاسلامي لوجدنا مجالات العمل مليئة بامثلة حية للمرأة المسلمة منذ مستهل الدعوة الاسلامية حتى يومنا هذا ، ابتداء بالسيدة خديجة بنت خويلد التاجرة المعروفة ، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اقرها على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بعد ولم يبد منه ما يمنع اتجارها بل الاسلام يؤكد حق المرأة وملكيتها واطلاق يدها في التصرف في مالها .

واسماء بنت أبي بكر الصديق صاحبة الرأي السديد المشيرة على عبد الله بن الزبير ابنها في استمراره في القتال بردها عليه « أن الشاة لا تتألم من سلخها بعد الذبح » وسكينة بنت الحسين في عملها الأدبي الشهير ألم تعمل في حقل الادب والاجتماع ..

وفي العلوم الاسلامية نجد عددا

كبيرا من السيدات المبرزات كفانا ذكر السيدة عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها اذ كان حين يشكل على المسلمين أمر من الأمور يكتبون الى اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونهم عن حكم الله فكان هؤلاء اذا تعذر عليهم شيء رجعوا الى العلماء والمتحدثين في المدينة وعلى رأسهم السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي كانت عند سماعها خطأ في الروايات والأحكام تصححه ، وهكذا اصبح كل من شك في رواية جاء الى السيدة عائشة فكانت حجة في رواية الحديث وقد اعتمد علماء الحديث على كثير مما نقل عنها وتعد السيدة عائشة رضي الله عنها من أئمة الرواة ومن جملة الستة الذين هم أكثر الصحابة علما ، وكانت من أفقه الناس ، وكانت تفتي في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان « وكان القضاة يجتمعون عندها لحل بعض المسائل ، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كنت عند عائشة فتذاكروا القضاء ، وروي عن صحابي آخر أنه قال « رأينا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض » .

وهكذا رأينا الاسلام عزز مكانة المرأة في الاسرة وقد حفظ لها حقوقها كأحسن ما يمكن أن تكون الحقوق منذ نشأتها فحرم وأدها ، ثم حفظ لها حقها في التعليم ، وحسن التربية والميراث لتستقيم كإنسان كامل مستقل ، ثم حفظ لها حق التصرف بأموالها وتجارتها بأن تستثمرها وتستغلها ، وحفظ لها حق الملكية الفردية ، وجعل الاسلام الرابطة بين المرأة والرجل رابطة مودة ومشاركة وجدانية في العشرة بينهما ، ورابطة مساواة في الحقوق والواجبات ، كل حسب طبيعته ففرض على الرجل القيام بالأعباء المادية والانسانية كالانفاق على الزوجة على قدر طاقته دون أن تكلف الزوجة أو تجبر على الاخضاع والاعمال المنزلية الا تطوعا منها وعن طيب خاطر لتحقق المشاركة وليتعاونا على بناء الأسرة بناء مساواة وتضحية ثم ضمن لها حقها في حال حدوث الطلاق من النفقة وحضانة القاصر ، وقد حث المرأة على أن تدافع عن حقوقها حتى لقد أقر لها حق المجادلة ورفض الضيم اذا وقع عليها لتحيا على قدم المساواة مع الرجل مع الرجل ولتستقيم المشاركة المطلوبة وليتمكن الطرفان من البناء السليم للاسرة التي هي اساس المجتمع ، وهل هناك أجمل وصفا من التعبير عن المساواة بين المرأة والرجل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما النساء شقائق الرجال وبذلك تحترم انسانية المرأة ويقر بأنها تكمل نصف المجتمع بمساواتها بالرجل مع الاحتفاظ لكل منهما بالفروق الطبيعية التي تميز أحدهما عن الآخر ..





منهاج الإسلام في تربية الشباب

للأستاذ/بسيوني متولي رسلان

● للاسلام في تربية الشباب منهج متميز في وسائله واهدافه عن السابق له واللاحق به ، منهج شامل للكيان البشري كله ، يحقق الايجابية السوية والواقعية المثالية .

ولقد أثر هذا المنهج المتميز تأثيرا بالغا في الربط بين الروح والجسد ، وبين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه .

وهو يستهدف تكوين مجتمع سليم قوي متماسك ، يحس كل فرد فيه ، باحساس أخيه ، ويشعر بشعوره ، ويؤمن بأنه عضو في جسد واحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء كما صوره نبي الرحمة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الجامع الرائع : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم .

● لقد عني الاسلام بالشباب عناية بالغة ، فلم يتركهم للحياة تتقاذفهم شهواتها ، وتجرفهم تياراتها ، بل ربطهم بالله عن طريق الايمان به ، وفرض عليهم وعلى غيرهم عبادات كان لها أعظم الأثر في اصلاح نفوسهم ،

وتقويم أخلاقهم واستقامة سلوكهم . وهل الصلاة الا عصمة من الانحراف .. والاضرار بالناس ؟
(**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) العنكبوت/٤٥ .
وهل الزكاة الا تاليف للقلوب ، وتطهير للنفوس من الحقد والحسد : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة/١٠٣ .
وهل الصوم الا تهذيب للنفوس ، وتدريب على الطاعة ، والبعد عن الاضرار بالغير ؟
(**يا أيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .
وهل الحج الا مؤتمر اسلامي عام ، تعقد جلساته الدورية كل عام :
(**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج/٢٨ .
● وانما عني الاسلام بالشباب هذه العناية ، لأن شبابنا هم عبير حياتنا ، وثمرة قلوبنا وزهرة دنيانا ، وحماة ديننا وأوطاننا ، وهم القواد والرواد ، والعلماء والحكماء والمفكرون والأدباء وكل جهد في سبيل رعايتهم والعناية بهم محبب ، وكل عناء في سبيل تقويم سلوكهم يطيب ويعذب ، فهم في كل عصر بناة النهضات ، وحملة مشاعل الحضارات وقد تولى رعاية شباب الاسلام الأول نبي كريم أدبه ربه فأحسن تأديبه فكان المثل الأعلى للشباب فقد شب وهو أحسن قومه خلقا ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأفضلهم مروءة وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جوارا ، وأوسعهم حلما ؛ وأبعدهم عن الفحش متحليا بالحلم والصبر والشكر ، والعدل والتواضع ، والعفة والحياء والورع والمسالمة ، ولم يزل ينمو ويتكامل بدنا وعضلا ، وأدبا وفضلا ، حتى لقب في قومه بالصادق الأمين .. لم يشرب خمرا قط مع شيوعها في قومه ، ولم يعظم صنما قط مع اغراق قومه في تقديس الأصنام ، وقد استحلف باللات والعزى وهو صبي فغضب وقال : ما أبغضت شيئا بغض الأصنام ..
قال علي رضي الله عنه وكرم وجهه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا ليلتين كلتيهما عصمني الله عز وجل فيهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم اهلها ، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال بلى : قال فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة ، سمعت عزفا بالمزامير والغرابيل فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة ، فجلست انظر . وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فقال : مافعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليله أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر ، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ؛ فسألت فقيل : نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا مس الشمس فرجعت الى

صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء . ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته : رواه ابن كثير في البداية والنهاية ..

الله أكبر ، الله أكبر ، شاب في عنفوان الشباب وحداثة الصبا لم تحدثه نفسه بالسمر الا مرتين ، ثم يحول الله بينه وبين ما يريد في المرتين ، انه انسان صاغه الله على عينه ونفخ فيه من روحه ، وأدبه فأحسن تأديبه وأعده لهداية العالم وقيادته .

● وحقيق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه ، ان تحرك في نفوس شبابنا المسلم عوامل الأمل ، وتحفزها الى الجهاد والعمل ، وتفتح الأعين الغافية ، على مستقبل باسم مشرق ، يعز الاسلام واهله ، ويأخذ بيد الأمة المسلمة الى ميادين القيادة والريادة ، كما أراد الله لها أن تكون : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران/ ١١٠ (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة/ ١٤٣ . لقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة شبابه في بيئة تموج بالضلال وتعج بالشهوات والانحلال ، وتضطرم بالمظالم ، وتتسم بالمآثم ، فلم تتأثر فطرته الطاهرة النقية بما كانوا يفعلون ، وما كانوا يدعون ، بل لقد اتسع شبابه الطاهر لأمور خطيرة عظيمة قل أن يمارسها الشباب فتراه يقتحم فراش جده عبد المطلب وهو صبي ، وكان يوضع له في ظل الكعبة ولا يجلس عليه غيره ، فيجلس عليه معه فاذا ذاده أعمامه قال لهم عبد المطلب : دعوا ابني هذا فوالله ان له لشأنا وتراه يسهم وهو شاب في حلف الفضول الذي عقد في دار عبد الله بن جدعان ، وتحالفت فيه قبائل قريش على نصرة المظلوم ، حتى يؤدى اليه حقه ، وتراه صلوات الله وسلامه عليه وهو في الخامسة والثلاثين من عمره المبارك ، يفصل في نزاع عجز عنه الكبار من رجالات قريش ، وأولي النهي فيها ، وذلك حين حسم قضية الحجر الأسود التي كادت تراق بسببها الدماء ووضعه في مكانه الذي هو فيه الآن .

وجاءت النبوة ، فكانت عصمة الهية ، وتربية ربانية ، قومت تربيته الأصيلة العربية ، فصار المثل الكامل والانسان الكامل .

● وان سياسة الدعوة الاسلامية التي وكل الله اليه أمرها قامت على شخصيته المثالية التي تعتبر بحق أعظم شخصية انسانية ، وقد اعتمد صلى الله عليه وسلم في نجاح دعوته بعد الله على الشباب ، فكيف وجهه ورباه ؟ وجهه ورباه على المنهج الاسلامي الخالد .

والذي ينظر الى الاسلام ، ويتعمق في فهم مبادئه يرى انه منهج كامل في اعداد الشباب وتربيته منذ كان أملا يجول في خاطر والديه ، الى أن أصبح حملا يحظى برعايتهما ، الى أن صار طفلا يحبو في رحابهما ، وينتقل في مراحل الحياة المختلفة .

فليس هناك من أمل يتطلع اليه

الانسان أشد من أمله في ذرية صالحة وهذا الأمل فطري مركوز في طباع البشر على اختلاف درجاتهم . وقد قص علينا القرآن الكريم دعاء زكريا عليه السلام : (**رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء**) آل عمران/٣٨ .

وحكى القرآن الكريم عن عباد الرحمن قولهم : (**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**) الفرقان/٧٤ .

ومن أجل ذلك شرع الزواج في الأديان السماوية جميعا ، وجعله رابطة مقدسة هدفها تحقيق السعادة للزوجين بسكون كل منهما الى صاحبه . وما يرزقانه من ذرية طيبة ، والذرية الطيبة كالنبات الطيب ، فكما انه لا ينمو الا في أرض خصبة ، كذلك لا تكون الذرية طيبة صالحة الا اذا توفر للزوجين العرق الطيب والجو الصالح ، ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم (في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى اموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » .

● وليس هناك شيء في الحياة له الأثر الأكبر في حياة الشباب كالدين وان أول باب سطره النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب تربية الشباب وتوجيهه هو الايمان بالله تبارك وتعالى ، قال عبد الله بن جندب رضي الله عنه : كنا شبانا أقوياء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأتينا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا : وقد رأينا المرأة المسلمة في عهد النبوة تلقن وليدها أول ما ينطق كلمة التوحيد ، ثم رأيناها تربي أولادها على الصوم وهم صغار لتدريبهم على العبادة . فعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها

قالت : «أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الأنصار حول المدينة : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه : فكنا بعد ذلك نصومه ونصوّمه صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد ، فنجعل لهم اللعبة من العهن ، فاذا بكى أحدهم من الطعام اعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار» اخرجه البخاري ومسلم ، واللعبة : هي ما يلعب به الصبيان ، والعهن : الصوف .

وفي الصلاة يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه أبوداود باسناد حسن : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين . واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

وفي الجهاد يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : كنت اعقد لأخي عمير بن أبي وقاص حمائل سيفه في بدر ، وقاتل حتى قتل وهو ابن ست عشرة سنة : وفي الحديث المتفق

عليه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في قصة قتل ابي جهل قال :

« بينا أنا واقف في الصف يوم بدر ، فنظرت عن يميني وشمالي ، فاذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما ، فغمزني احدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم وما حاجتك اليه يا ابن أخي ؟ قال : أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا .

فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر ، فقال مثلها ، فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يجول في الناس قلت : ألا ان هذا صاحبكما الذي سألتماني . فابتدراه بسيفهما ، فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ » قال كل واحد منهما : أنا قتلته ، فقال : « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قالا : لا فنظر في السيفين فقال : كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح » والغلامان هما : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء ، وانما قضى صلى الله عليه وسلم بسلب أبي جهل لمعاذ بن الجموح ،

لأنه رأى عمق الجناية في سيفه وطيب نفس الآخر بقوله : كلاكما قتله : وهكذا يفعل الايمان الذي رباهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يعمق معاني الايمان في عواطفهم ، بما يتلوه عليهم من آيات القرآن الكريم ، وما ينفخه فيهم من روحه الأبية القوية ، وأخلاقه العلوية فقد سار فيهم سيرة المربي الحكيم العليم بالطبائع الانسانية ، والغرائز البشرية ، واستطاع أن يجعل منهم قوة دافقة ، قفزت بالدعوة قفزات ، لم يسجلها التاريخ لدعوة من الدعوات .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يمنحهم الفابا حفزا لهممهم ، وتقديرا لأعمالهم ، فقد لقب أبا بكر بالصديق غداة الاسراء والمعراج ، ولقب عمار بن ياسر بالطيب المطيب ، وفي غزوة بدر لقب عمر بن الخطاب بأبي حفص ويوم حنين لقب طلحة بالجواد لكثرة انفاقه على الجيش .

وكان صلى الله عليه وسلم يسند الى الشبان مقاليد القيادة على حداثة أسنانهم فقد اعطى الراية لعلي يوم بدر وسنه عشرون سنة ، واعطى زيد ابن ثابت الراية يوم تبوك وسنه عشرون سنة .

وعقد اللواء بيده الشريفة لأسامة بن زيد على جيش ضم كبار المهاجرين والأنصار وسنه يومئذ سبع عشرة سنة .

● وقد كان هؤلاء الشباب الذين نشأوا في المدرسة المحمدية مثلا عليا في الاقدام والشجاعة ، والعلم والمعرفة ، كانوا يحملون لواء النصر اذا جاهدوا ، ويفجرون ينابيع العلم اذا فكروا ، ويبسطون لواء العدل اذا حكموا ، فمنهم من حطم عروش الجبروت والطغيان ، واستل من القلوب سخائم البغي والعدوان ومنهم

من شاد الممالك على قواعد من عدله ، وسقى العباد العذب من سحائب فضله ومنهم من شق صفوف الأعداء بضربات حسامه ، وفتح مغاليق البيان بروائع بيانه ..

وهل ينسى التاريخ في مجال الولاية والحكم عمر بن الخطاب .. ومعاوية والرشيد والمأمون ؟ وفي ميدان الجهاد والجلاد عليا والزبير ، وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة وحمزة وخالد بن الوليد الذي غمره الحزن لما وافته المنية وهو على فراشه بين اهله وقال : لقد شهدت مائة زحف ، وما في جسمي موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، واليوم أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء !

هل ينسى التاريخ عمرو بن العاص ؟ هل ينسى التاريخ طارق بن زياد ؟ هل ينسى التاريخ عقبة بن نافع الذي وقف على ساحل المحيط يتحدى الموج ويدفع فرسه وهو يقول : لو أعلم وراء هذا المحيط أرضا أغزوها في سبيل الله لاقتحمته . وفي مجال العلم والفتوى : هل ينس التاريخ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ؟ هل ينسى التاريخ زيد بن ثابت ؟

هل ينس التاريخ الأئمة الأربعة وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والعز بن عبد السلام وغيرهم من رجالات الاسلام الذين كتبوا أسماءهم على وجه الزمن بأحرف من نور ؟

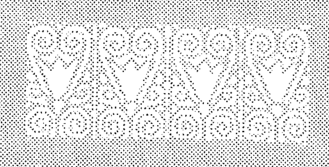
● ولم تكن هذه التربية العظيمة التي جاء بها الاسلام وأقام عليها دعائم المجتمع المسلم قاصرة على الشبان ، بل شملت الشابات المسلمات كذلك ، وقد برزت في العصور المختلفة كثيرات منهن .

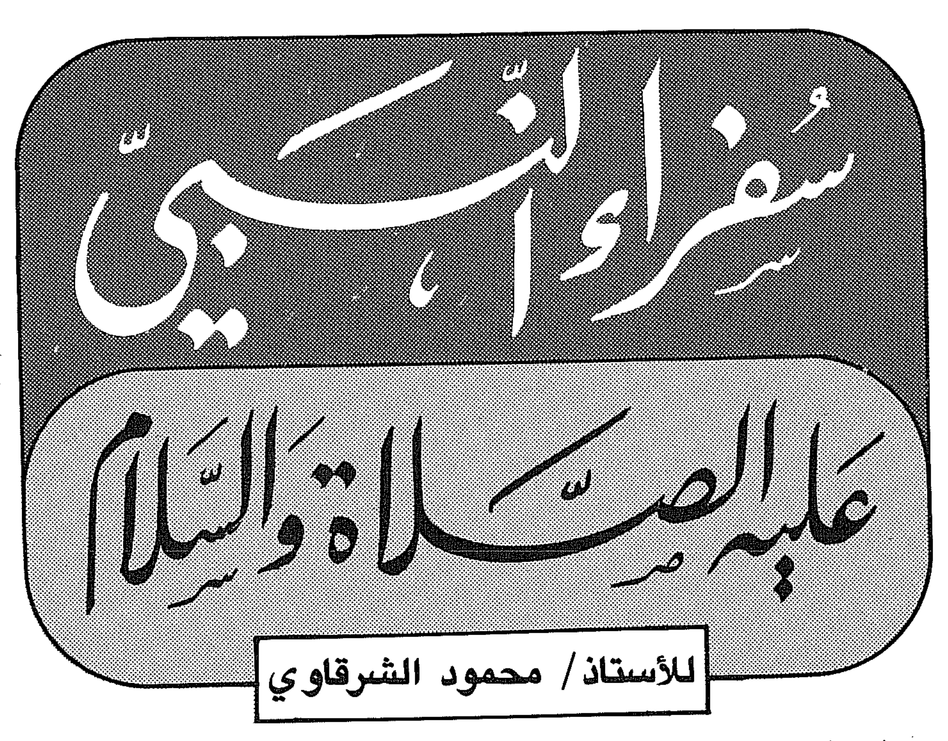
ففي عصر النبوة : رأينا عائشة أم المؤمنين التي كانت عارفة بأيام العرب وأشعارهم وكانت فقيهة فصيحة ، واختها اسماء بنت أبي بكر ودورها العظيم المشرف عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

ورأينا الخنساء الشاعرة المشهورة وموقفها الفذ يوم القادسية وقولها حين علمت باستشهاد أبنائها الأربعة في المعركة : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وكثيرات لا يتسع المقام لذكرهن ، قلدت جيد الزمان بمواقفهن ، وعطرن آفاق الدنيا بأخلاقهن ، وخلدن المرأة المسلمة بأعمالهن .

وبعد .. فيجب علينا أن نربي شبابنا وشاباتنا على النهج الأقوم ، الذي وضعه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فهولنا القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة وفي القرآن الكريم : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ .





للأستاذ/ محمود الشرقاوي

الاسلام دعوة عالمية ، لا تقتصر على أناس بعينهم ، ولا زمن بعينه ، ولكنها تشمل الناس جميعا ، وتعم الأزمنة والعصور منذ أعلن الرسول الأعظم دعوته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد كان صلح الحديبية بداية عهد جديد ؛ شعر فيه الرسول والمسلمون بالطمأنينة على مستقبل الدعوة الاسلامية ، وأخذ الرسول يتطلع إلى آفاق جديدة يعلن فيها دعوته تحقيقا لعالمية هذه الدعوة كما أمره الله تعالى : (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) المائدة/ ٦٧ .

فأرسل عليه الصلاة والسلام الكتب إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الاسلام .

يقول سير « توماس أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الاسلام » : « وتدل هذه الكتب ، دلالة أكثر وضوحا وأشد صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الاسلام .

فقد قال تعالى : (**إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين**) ص/ ٨٧ و ٨٨ ويقول جل شأنه : (**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**) الفرقان/١ ويقول : (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) سبأ / ٢٨ .

ويقول : (**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) الأعراف/ ١٥٨ ويؤيد دعوى عموم الرسالة للجنس البشرى ، قول محمد عليه الصلاة والسلام

متنبئا « إن بلالا أول ثمار الحبشة » وأن صهيبا « أول ثمار الروم » وكذلك ما قاله عن سلمان الذي كان أول من أسلم من الفرس ، في السنة الأولى من الهجرة . وهكذا صرح الرسول في وضوح وجلاء أن الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربي ، قبل أن يدور بخلد العرب أي شيء يتعلق بحياة الفتح بزمن طويل » .

قال ابن جماعة في « مختصر السير » بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتبه ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع :

عمرو بن أمية الضمري ، ودحية بن خليفة الكلبي،وعبد الله بن حذافة السهمي وحاطب بن أبي بلتعة اللخمى ، وسليط بن عمرو والعلاء بن الحضرمي .

لم تكن مهمة هؤلاء السفراء سهلة ، ولم يكن طريقهم مفروشا بالورود والرياحين ولكن كان طريقا شاقا تملؤه الصعاب وتحف به المخاطر ، لذلك لم يكره الرسول أحدا من أصحابه للقيام بهذا العمل . وإنما ترك الأمر خيارا بين المسلمين لمن يتولاه من أصحابه محتسبا أجره على الله .

قال ابن هشام في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : «حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال :

« أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم .

فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟

قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا فأحب وسلم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

قال الرسول الأعظم : من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر ، وله الجنة ؟

فقال رجل : وإن لم يقبل ، قال : وإن لم يقبل .

كان **دحية الكلبي** سفيرالنبي ، وحامل رسالته إلى قيصر ملك الروم ، شابا صادق الايمان من الرعيل الأول الذي تخرج في المدرسة المحمدية المثالية العليا ، وكان جميل الصورة ، وقيل في وصف جماله ، إن جبريل عليه السلام كان يفد على الرسول الكريم في مثل صورته . وروى أنه كان إذا قدم إلى الشام لم تبق مخدرة إلا خرجت لتنظر إليه !!

وقد شهد دحية أحدا وما بعدها من المشاهد ، وبقى إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان .

وكان نص الكتاب الذي أرسل إلى قيصر :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله إلى هرقل قيصر الروم . السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، أسلم تسلم ؛ يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم

(يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران/ ٦٤ .

قال السهيلي في الروض الأنف : لما دخل دحية على قيصر قال له :

ـ يا قيصر ، أرسلني من هو خير منك ، والذي أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذل ثم أجب بنصح ، فإنك إن لم تذلل لم تفهم ، وإن لم تنصح لم تنصف .

قال قيصر : هات .

قال دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلي ؟

قال : نعم

قال دحية : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له . وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه ؛ وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى ، وبشر به عيسى ابن مريم ، وعندك من ذلك أثارة من علم تكفي عن العيان ، فإن أحببت كانت لك الدنيا والآخرة ، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا . واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم !

فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه ، وقبله وقبل خاتم الرسول الأعظم ، ثم قال :

ـ أما والله ما تركت كتابا إلا قرأته ولا عالما إلا سألته ، فما رأيت إلا خيرا ، فأمهلني حتى أنظر : من كان المسيح يصلي له . فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدا ما هو أحسن منه ، فأرجع عنه فيضرني ذلك ولا ينفعني ، أقم حتى أنظر .

وروى البخاري أنه لما تلى كتاب النبي عليه الصلاة والسلام على هرقل « قيصر » غضب ابن أخيه غضبا شديدا وقال : أرني الكتاب .

قال قيصر : وما تصنع به ؟

قال ابن أخيه : إنه بدأ بنفسه ، وسماك صاحب الروم !

فقال قيصر : والله إنك لضعيف الرأي ، تريد أن أرمي كتاب رجل أتاه الناموس الأكبر ، لئن كان رسول الله إنه أحق أن يبدأ بنفسه ، وقد صدق فأنا صاحب الروم .

قيل إن قيصر عرض على أتباعه الاسلام فأبوا عليه ذلك .

قال ابن سعد في « الطبقات الكبرى » : إن هرقل قال لهم : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى ابن مريم .

قالت الروم : وما ذاك أيها الملك ؟ قال : تتبعون هذا النبي العربي قال : فحاصوا حيصة حمر الوحش ، وتناحزوا ورفعوا الصليب ، فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم وخافهم على نفسه وملكه فسكنهم ، ثم قال : إنما قلت لكم ما قلت

أختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فقد رأيت منكم الذي أحب .
وشاعت لباقة قيصر أن يستدعي دحية ، وأن يحاول إيهامه بأنه مسلم ثم أعطاه قدرا من الدنانير وصرفه .
وعاد دحية إلى الرسول بالنبأ فقال صلى الله عليه وسلم :
ـ كذب عدو الله ليس بمسلم » . وامر بالدنانير فقسمت بين الفقراء والمحتاجين .
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط (صاحب الاسكندرية) رسالة جاء فيها قوله الشريف :
« بسم الله الرحمن الرحيم »
من محمد عبد الله ورسوله ،
إلى المقوقس عظيم القبط ،
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فعليك إثم القبط :
« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »
وحمل الرسالة الكريمة السفير النبوي **حاطب بن أبي بلتعة اللخمي** وهو صحابي شهد الوقائع كلها مع الرسول الكريم وكان من أشد الرماة في الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، وكان أحد فرسان قريش ، وشعرائها في الجاهلية ، وقد شهد الله تعالى لحاطب بالايمان في قوله جل شأنه :
(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الممتحنة/ ١ وتوفي حاطب بالمدينة المنورة .
أخذ المقوقس كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فوضعه في حق من عاج ، وأكرم حاطبا وأحسن نزله ، وسرحه إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم .
وفي « الروض الأنف » : أن حاطبا لما قدم على المقوقس قال له :
ـ إنه كان رجل قبلك زعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك .
قال المقوقس : هات .
قال حاطب : إن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الاسلام . إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ؛ وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك للقرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الانجيل ، وإن كل نبي أدرك قوما منهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدرك هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، بل نأمرك به .
قال حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المقوقس صاحب الاسكندرية قال : فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزل وأقمت عنده ثم بعث إلي وجمع بطارقته وقال :

- إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني .

قال حاطب : هلم . قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبيا ؟

قال حاطب : بلى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : فما باله حيث كان لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟

قال حاطب : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟

قال : بلى .

قال حاطب : فما باله حيث أخذه قومه الا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله ؟

قال المقوقس : أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم .

وكتب المقوقس كتابا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

«لمحمد بن عبد الله »

من ا لمقوقس عظيم القبط .

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرته وما تدعو إليه . وقد علمت أن نبيا بقى ، وقد كنت أظن أن يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام » .

ولم يزد المقوقس على ذلك ، ولم يسلم .

ووجه الرسول الأعظم رسالة الى كسرى ملك الفرس ، هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني رسول الله الى الناس كلهم لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس »

وقد حمل هذا الكتاب الشريف الى كسرى السفير النبوي الكريم عبد الله بن حذافة السهمي ، فلما قريء على كسرى مزقه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كلمته الخالدة : اللهم مزق ملكه .

وكتب كسرى الى عامله على اليمن : ان ابعث من عندك رجلين جلدين الى هذا الرجل بالحجاز فليأتياني به .

وصل الرجلان الى المدينة ، وقدما على الرسول الأعظم ، فقالا : ان كسرى قد بعثنا اليك لتنطلق معنا ، فصرفهما الرسول على أن يعودا اليه في الغد . فأتى رسول الله الخبر من السماء « **إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله** »

فلما قدم الرسولان أخبرهما الرسول هذا الخبر فقالا له : انا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟

قال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك

كسرى ، وقولا له انك ان أسلمت اعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك » فعاد الرسولان الى باذان عامل اليمن فقصاعليه ما تنبأ به النبي . فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، واني لأرى الرجل نبيا كما يقول ، ولننظرن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقا فانه لنبي مرسل ، وان لم يكن فسنرى فيه رأينا . فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد ، فاني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله الا غضبا لفارس لما استحل من قتل أشرافهم . فان جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الى الرجل الذي كان كسرى كتب فيه اليك «يعني الرسول الكريم» فلا تهيجه حتى يأتيك أمري فيه » فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال : ان هذا الرجل لرسول ، فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .

وكتب عليه الصلاة والسلام رسالة الى النجاشي جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله ـ الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة . سلام أنت فاني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ابن مريم فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله ، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر ، فاني أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وبعث الرسول الكريم كتابه مع عمرو بن أمية الضمري ، وهو من السابقين الى الاسلام ، وقد هاجر الى الحبشة ، ثم هاجر الى المدينة المنورة ، وكان من أنجاد العرب ورجالها نجدة وجراءة .

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى » : فأخذ النجاشي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ونزل من سريره على الأرض تواضعا ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق ، وكتب للرسول الأعظم كتابا أعلن فيه اسلامه .

وكتب عليه الصلاة والسلام كتابا الى المنذر بن ساوي أمير البحرين ، وبعث الكتاب الشريف مع سفير كريم هو **العلاء بن الحضرمي** وهو صحابي جليل . ويقال : انه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها . انه كان مجاب الدعوة ، وذلك مشهور عنه . وكان نص الكتاب الشريف كما يلي :

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي ، سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله غيره ، وأشهد ان لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله ، أما بعد ، فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن ينصح لهم فقد نصح لي ، وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا ، واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه . وعفوت عن أهل

الذنوب ، فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية » .

كان السفير العلاء بن الحضرمي بليغا في قوله ، موفقا في عرض الاسلام على المنذر ، ويبدو أن المنذر كان مستعدا لقبول هذا الدين ، فأسلم وعرض على قومه الاسلام ، فمنهم من أعجبه فدخل فيه ومنهم من كرهه وبقى على مجوسيته أو يهوديته .

وكتب عليه الصلاة والسلام الى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة رسالة جاء فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله ، الى هوذة بن علي .. سلام على من اتبع الهدى . واعلم أن ديني سيظهر على منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم » .

وقد حمل الرسالة الكريمة سليط بن عمرو العامري وكان من المهاجرين الأولين وممن هاجر الهجرتين الى أرض الحبشة والى المدينة المنورة . أسلم قديما قبل دخول النبي عليه الصلاة والسلام دار الأرقم وقد أسلم بعد عشرين رجلا وامرأة . وقد شهد غزوة أحد والمشاهد كلها مع الرسول الأعظم وقد استشهد في معركة اليمامة سنة احدى عشرة من الهجرة .

ولما قدم سليط بكتاب الرسول الكريم مختوما على هوذة بن علي أنزله منزلا كريما ، وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك » وأجاز سليطا سفير النبي الكريم بجائزة ، وكساه أثوابا من نسج هجر ، فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ كتابه ، فقال الرسول الأعظم :

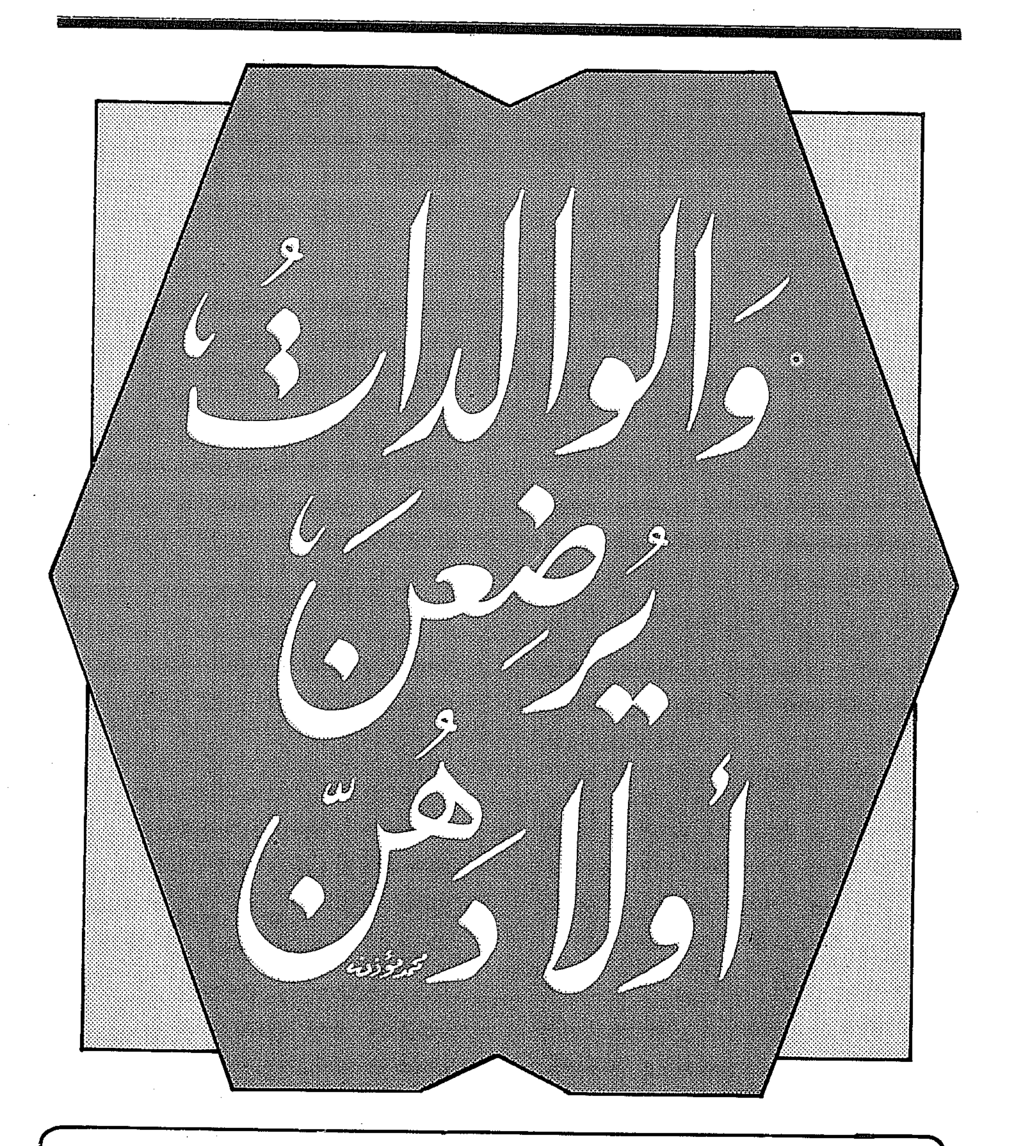
ـ لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت . باد وباد ما في يده .

فلما انصرف الرسول الأعظم من الفتح جاء جبريل عليه السلام فقال :

ـ ان هوذة قد مات .

فقال النبي : أما اليمامة فسيظهر بها كذاب يتنبأ ، ويقتل بعدي . فكان كذلك .

تلك صورة سريعة لبعض سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها يتجلى أنه عليه الصلاة والسلام كان أول من أوفد السفراء فوق العادة ، يحملون الرسائل الكريمة ممهورة بخاتمه الشريف الذي كان يتألف من ثلاثة أسطر في احدها محمد وفي الثاني رسول ، وفي الثالث اسم الله ، وهو أعلى هذه السطور الثلاثة . كان سفراء النبي من الشباب المؤمنين الذين يكفيهم شرفا وفخارا ان يكونوا من صنع الرسول الأعظم كانوا يتحلون بالخلق الرضي والخصال الشريفة وجمال الصورة فضلا عن توقد الذكاء والبديهة الحاضرة ، والحجة الباهرة ، ولا غرو فهم يمثلون ذلك الرعيل الأول من المدرسة المحمدية التي حققت النصر لدين الله الحق ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور .



للدكتور/عبد المحسن صالح

من العادات أو التقاليد السيئة التي ظهرت في عصرنا الحديث ، أن يترك البعض فطرة الله التي فطرهم عليها .. أو بمعنى آخر ، يلجؤون الى غير الطبيعي ، ويأنفون من الطبيعي ، ومن أجل هذا ينادي معظم العلماء بضرورة العودة الى الشرائع الكونية ، والنواميس الطبيعية التي وضع الله بذورها من قديم الأزل ، ليسري كل شيء بحساب ومقدار .

ومن أمــة المسلمين من يهـوى التقليد ، دون وعي أو تفكير ، حبا في الظهور ، وتمشيا مع الأنماط الحديثة من الحياة ، وفي بعض هذه الأنماط يكمن السوء « لو كنتم تعلمون » !

ولكي نحدد موضوعنا من البداية ، كان لا بد ان نتناول نقطة واحدة هامة .. وهي تتركز في إرضاع الطفل من ثدي أمه ، ولا شيء سواه ، اللهم الا اذا جدت ظروف طارئة تمنع ذلك ، كأن يكون بالمرضعة مرض ، أو قل عندها ادرار اللبن ، أو نتيجة لتقاليد متوارثة عند بعض المجتمعات .. الخ .

ولقد جاء القرآن الكريم ببعض آيات بينات تشير الى ذلك اشارات مقتضبة ، لكنها - في الوقت ذاته - تنطوي على حِكَم بالغة أوضحتها لنا العلوم البيولوجية والطبية الحديثة .. من هذه الآيات (**وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمــروا بينكــم بمعــروف وإن تعاسرتم فسترضع لــه أخرى**) الطلاق /٦ (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده**) البقرة / ٢٣٣ .

والواقع ان هاتين الآيتين تشريع للحياة الأسرية التي قد يتشعب فيها الحديث ويطول ، وهما مما يرتكز عليه فقهاء المسلمين في وضــع الأسس القويمة بين الأب والأم والرضيع ، وهو ما نرى بعضه الآن من ضرورة حضانة الأم لرضيعها ، ثم امتداد فترة الحضانة بعد ذلكلسنوات ، لأن غريزة الأمومة هنا هي الغالبة ، ومع ذلك فلسنا نحن من الضالعين في مثل هذه التشريعات ، ولا نستطيع أن ندلي فيها بدلونا ، فهذا خارج عن اختصاصنا ، لكن ذلك لا يمنع - وفي أضيق الحــدود ، حدودنــا - أن نستلهم من المغزى الذي ورد في هاتين الآيتين بعض الأحكام التي تمخضت عنها العلوم الحديثة ، فمحك القضية يتركز على الرضيع ، لأنه سيكون فيما بعد اللبنة الأساسية التي يبني عليها قوام المجتمعات البشرية ، فان كان خيرا فخيرا ، وان كان غير ذلك ، فالله أعلم بعباده .

هذه هي المبادىء العامة التي أشار اليهــا القرآن الكــريم ، لأن نشأة الرضيع مع أمه ، او مع مرضعة أخرى من نفس نوعة ، وبنص الآية « **وان تعــاسرتم فستــرضــع لــه أخرى** » ، هي من الأساسيات التي يجب علينــا أن نوليهــا حقها من الاهتمام والتقدير ، وبحيث نجعل للأم الولاية الأساسية على رضيعها ، ثم تأتي المرضعات بعد ذلك في مرتبة تالية ، وغير ذلك مما نراه هذه الأيام من حيود البشر عن شرائع الله في خلقه ، أو نكوصا على فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، انما هو شيء مكروه ، ولا يتمشى مع تنشئة الأطفال تنشئة سوية ، ومن هنا نبدأ ، لنوضح ما قدمنا فأوجزنا .

اعلانات خبيثة

ففي عصرنا الحديث ، تظهر شركات ، وتنشر اعلانات ، لتخدع المرضعات ، بحجة المحافظة على صدورهن ، والعناية بقوامهن ، وحرمان اطفالهن من رضاعة طبيعية قدّرها الخالق لكل نوع من الكائنات فأحسن تقديرها ، ولتصبح مناسبة تماما لأطفالها .

وتذهب هذه الاعلانات الى أبعد من ذلك ، وتنفث سمومها بين الناس ، بحجة ان هذه الرضعة اوأو تلك ، تهب الرضيع صحة كاملة ، وقوة فائقة ، ونموا مثاليا ، وكانما الرضعة الصناعية من زجاجة جامدة لا حياة فيها ولا حركة ، كانما هي رضعة سحرية جادت بها القريحة ، وجاءت على أحدث ما تمخضت عنه العلوم الحديثة ، لتمنح الأطفال قوة دونها قوة « كنج كونج » العجيب ، أو هذا الحيوان الخرافي العتيد !

ولا شك ان هذه الاعلانات المضللة عن الرضعات الصناعية لا تجوز الا على اصحاب العقول الضعيفة ، لكي تحقق الشركات من وراء ذلك ثروات طائلة على حساب رضعة طبيعية فيها من مقومات الحياة ما يحقق الهدف الذي جاءت من أجله تماما .

إن البحوث التي قام بها العلماء توضح بدقة قدرة الله : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/ ٥٠ .. حتى ولو كان هذا العطاء في رضعة لبن جاءت في الوقت المناسب ، وبالعناصر المناسبة ، لوليد يحتاجها بالمقادير المناسبة كذلك ، ولن يتضح لنا معني ذلك ، الا اذا استعرضنا ما تمخضت عنه تلك البحوث من نتائج لها مغزاها ودلالتها .

لقد تبين أن أول رضعة يستقبلها الرضيع من ثدي أمه اثناء اليومين الأولين بعد ولادته ، تحتوى على تركيزات عالية من بروتينات خاصة مضادة لنمو الميكروبات التي تسبب الأمراض ، وهي ما يطلق عليها اسم الأجسام المضادة ، وهذه الأجسام أو البروتينات من العوامل الهامة التي تقف بجوار الوليد وهو لايزال في أشد حالات ضعفه .. أضف إلى ذلك انه قد وفد الى عالم يختلف اختلافا جذريا عن عالمه المثالي الذي عاش فيه وهو لايزال جنينا في رحم أمه ، وطبيعي أن خروجه الى عالمنا الذي يزخر بميكروبات شتي قد تنال منه وتمرضه ، خاصة وانه لا حول له ولا قوة ، كما أن أجهزته الدفاعية لم تتعامل بعد مع هذا العالم المعادي ، ومن أجل ذلك جاءت الرضعات الأولى – التي تشبه لون الليمون – مكدسة بأسلحة بروتينية جهزتها كل مرضعة بحسب البيئة التي تعيش فيها ، وما يناسبها ، يناسب وليدها ، فبيئتهما التي يعيشان فيها واحدة .

ولكي نوضح أكثر نقول : أن لكل بيئة ميكروباتها ، ولكل منها ايضا ناسها ومخلوقاتها الأخرى التي تكيفت بها ، ولا شك أن أجسام الكبار (ومنها الحوامل بطبيعة الحال) تتعامل مع هذه الميكروبات ليل نهار ، لأنها موجودة في الهواء الذي

نستنشقه ، والطعام الذي نتناوله ، والماء الذي نتجرعه ، وهي أيضا تنتشر على جلودنا ، وتوجد في مداخل أنوفنا وأفواهنا وحلوقنا وأمعائنا ، وكثيرا ما يتعامل الجسم مع الضار منها بخطوطه الدفاعية ، وينتج لكل نوع منها أسلحة بروتينية مضادة لتبيدها ، ولا شك أن الوليد سيتعامل بدوره مع هذه البيئة ، لكن خطوطه الدفاعية لم تتعلم أو تتحفز وتنشط بعد ، لكي تتغلب على الميكروبات الضارة ، ومن أجل هذا يأتيها السلاح البروتيني عن طريق أول رضعة ، عَلّه يقف معها ويساندها فيما يمكن أن تنعرض له من ميكروبات ضارية ، وتسير الأمور بعض الوقت على هذا المنوال ، الى أن تتكيف اجساما الغضة ، وتتحفز باسلحتها المضادة .

لهذا يعتقد العلماء أن أول لبن للأم مناسب تماما لهذه المهمة الخطيرة ، وقد لا يجارية لبن مرضعة أخرى جاءت من بيئة اخرى غير بيئة الأم ، لكن لا بأس من مرضعة تعيش في البيئة ذاتها ، ودعك إذن من الرضعة الصناعية ، فهي لا تقارن على الاطلاق برضعة طبيعية قدرت تقديرا مذهلا .

وقد يبدو - لأول وهلة - أن هذه الاستنتاجات مبالغ فيها كثيرا ، وقد تدفع البعض ليتساءل : وما يدرينا حقا أن ذلك هو الواقع ؟

أدلة كثيرة

○ إن أول دليل اكتشفه العلماء أن الأجسام المضادة ليست الا أنواعا خاصة من البروتينات ، وكل بروتين معرض للهضم ، لكن التحليلات الكيميائية اثبتت أن هذا النوع الدفاعي لا يتأثر بالعصارات الهاضمة ، ولهذا ينتشر في القناة الهضمية ، ويبقي فيها بتركيزاته العالية ، فيبيد الضار ، ويبقى على النافع .. أي أنه يختار الصالح من الطالح ، ويمد الرضيع ببيئة ميكروبية مناسبة ، وهي التي تبقى بعد ذلك في امعائنا العمر كله ، ودون أن يأتي منها الضرر ، بل العكس هو الصحيح ، لأن هذه البيئة الميكروبية المتوازنة تعيش معنا حياة تكافلية ، فنحن نمدها بالدفء والطعام ، وهي تمدنا ببعض فيتامينات هامة .

● وثاني الأدلة التي توضح لنا العلاقة أو التفاعل القائم بين البيئة والمرضع والرضيع ، هو ما لوحظ في البيئات الموبوءة بالملاريا مثلا ، فاذا أصيبت الأم بهذا المكروب « حيوان أولي دقيق » ، وبرئت منه ، فان ذلك كفيل بتكوين بروتينات مضادة تدور في الدم ، وعندما تحمل جنينها ، فإن هذه الأجسام تنفذ من خلال المشيمة لتدور في دماء الجنين ، وعندما يولد ، تظل فيه هذه المناعة سارية بنفس الدرجة الموجودة في أمه ، لكنها تخبو بعد ذلك شيئا فشيئا ، حتى يصل الطفل من العمر خمس سنين ، وعندئذ ترتفع نسبة الأطفال المصابين بالملاريا ، نتيجة لانخفاض معدلات المناعة وتلاشيها بالتدريج ، وهنا يبدأ كل طفل مصاب بتشغيل خطوطه الدفاعية ، وتجهيز أجسامه المضادة

بنفسه ولنفسه ، وعندئذ ينقص معدل الوفيات تدريجيا كلما قارب الصبيان سن البلوغ .. ولا شك أن ذلك يشير الى تقدير العزيز الحكيم ، لأنه جعل لكل شيء قدرا .(**فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٣

ودليلنا الثالث يأتي من الاحصائيات البيولوجية التي تمخضت عنها بعض الدراسات ، ففي واحدة منها وضع ١٧٣ وليدا تحت المراقبة الصحية حتى بلغوا من العمر عشر سنين ، وقد تبين أن الذين عاشوا على لبن صناعي قد أصيبوا بأمراض الجهاز التنفسي ، وبمعدل وصل الى أربع أضعاف المجموعة التي رضعت من صدور أمهاتها ، في حين وصلت نوبات الاسهال المعوي بين أطفال اللبن الصناعي الى ٢٠ ضعفا عن الذين رضعوا طبيعيا ، والذين اصيبوا بالربو وصل معدلهم الى ٢١ ضعفا أكثر من الذين كانوا يرضعون من أثداء أمهاتهم .. الخ .

كذلك أوضحت دراسة آخرى أجريت على الأطفال الذين يولدون قبل الأوان ، أي ما بين الشهر السابع والثامن ، فاتضح أن الذين أرضعتهم أمهاتهم قد اصيبوا بامراض أقل من الذين رضعوا لبنا صناعيا ، كما أن نسبة الذين ماتوا من هؤلاء المواليد كانت أكثر بين أطفال الرضعة الصناعية .

والبحوث بعد ذلك كثيرة ، والنتائج مثيرة ، لكن يكفينا ما قدمنا فأوجزنا ، فليس الطبيعي مثل الصناعي على أية حال ، حتى ولو كان ذلك على مستوى رضعة جاءت بمعايير مضبوطة ، وكأنما هي مما ينطبق عليه قول الله الكريم (**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل / ٨٨ .

كل لبن جاء لنوعه

على أن الأمور ستتضح لنا أكثر عندما نتعرض لمزيد من البحوث التي أجراها العلماء على الألبان التي تدرها إناث الانسان والحيوان ، ومنها سيتبين أن كل لبن قد جاء لما هو له ميسر ، وأن كل طفل رضيع في الكائنات قد جهز له في ثدي أمه اللبن الذي يناسبه تماما ، خاصة في مراحل النمو الأولى ، وبحيث يتلأم مع الجهاز الهضمي الحساس الذي يتعامل لأول مرة مع الطعام ، فيكون له فيه يسر لا عسر .

خذ على سبيل المثال لبن الأبقار ولبن الانسان ، فلبن البقر ليس ملائما تماما للرضع من البشر . أولها لأن لبن البقر يحتوي على بروتينات تعتبر الى حد ما غريبة على امعاء أطفال البشر ، ولهذا قد تصيبها أحيانا بنوع من الحسياسية التي قد تسبب اسهالا ، وقد يمتد أثرها الى البشرة ، فتسبب لها حساسية كذلك .

وثانيها أن لبن البقر يحتوي من المكونات المعدنية ثلاثة أضعاف ما يحتويه لبن أمهات البشر ، وهذا في حد ذاته يشكل عبئا ثقيلا على كليتي الرضيع ، إذ أثبتت الدراسات أن زيادة عنصر الفوسفور ـ على سبيل المثال ـ في لبن البقر يؤدي الى تعويق

امتصاص عنصر الكالسيوم خلال أمعاء الأطفال الرضع ، وهذا من شأنه أن يؤدي الى تقلص في العضلات ، نتيجة لنقص عنصر الكالسيوم في الدم ، وناهيك عما قد يسببه ذلك من تأخير في نمو العظام ، لأن خامتها الأساسية تعتمد اعتمادا كبيرا على عنصر الكالسيوم ، ومن أجل هذا يعوض هذا النقص بإضافة مزيد من الكالسيوم الى لبن البقر ، لتصسحح معاييره في رضعة أطفال البشر المجهزة من هذا اللبن ، والواقع أن مثل هذه التقلصات تحدث اساسا بين الأطفال الذين يعيشون على رضعات أتت من غير لبن البشر ، في حين تندر بين الأطفال الذين يرضعون من أثداء إمهاتهم ، أو من مرضعاتهم .

وثالثها أن بروتين لبن البقر ليس مختلفا فقط من حيث النوع ، بل ايضا من حيث الكم ، ذلك أن بروتين لبن البقر يحتوي على كميات أكثر مما هو موجود في لبن البشر ، ولهذا يحتاج في هضمه الى كميات مضاعفة من حامض المعدة ، أو بمعني أخر تنقص معدلات الحامضية في معدة الأطفال الذين يرضعون رضعات صناعية (لأن الحامض يستهلك فيها بمعدلات أكبر) ، وهذا من شأنه أن ييسر الفرصة لنمو الميكروبات غير المرغوب فيها ، والتي قد يكون بعضها من النوع الممرض ، اذ من المعروف أن حامضية المعدة الموزونة ـ خاصة عند الأطفال الرضع ـ تقلل من ضراوة الميكروبات المعدية ، واحيانا قد تقتلها قبل أن تنفذ الى الأمعاء ، وربما ترجع زيادة معدل الاضطربات المعوية التي يعاني منها الأطفال الذين يعيشون على لبن الأبقار الى هذا السبب ، في حين أن الذين يعيشون على لبن أمهاتهم ، يحتفظون بنسب الحامضية في معداتهم مضبوطة ، ومن أجل هذا تقل فيهم معدلات الاضطرابات الى حد بعيد .

وأخيرا تأتي البان البشر والبقر بخمائر وانزيمات هاضمة للمواد الدهنية الموجودة في الرضعة ، وهي في لبن الأم دائما طازجة وفعالة ، في حين أن عمليات تجهيز الرضعات الصناعية تدمر أو تقلل من كفاءة تلك الخمائر الهاضمة ، فيؤدي ذلك الى نقص في معدلات هضم الدهون وامتصاصها ، ويتبع ذلك ايضا عدم الاستفادة القصوى بما تحويه هذه الدهون من فيتامينات (خاصة فيتاميني أ ، د) ، وهذا من شأنه تعويق النمو بعض الشيء في تلك الفترة الحرجة .

وهناك أيضا اختلافات أخرى بين لبن البشر والبقر ، ومن الأوفق أن نقدمهماهنا في جدول ، حتى يتبين أن كل لبن قد جاء بنسبته المضبوطة ، ليتناسب بدوره مع الرضعة التي يحتاجها كل نوع من أنواع الحيوانات الثديية .

واليك الجدول الذي يوضح التركيب الكميائي للبن البشر والبقر في كل (١٠٠) غرام .

عناصر اللبن	في مرضعات البشر	في مرضعات البقر
بروتينات	١,٢ جرام	٣,٣ جرام
مواد دهنية	٣,٧ جرام	٤,٣ جرام
سكر اللبن (لكتوز)	٧,٠ جرام	٤,٨ جرام
صوديوم	١٥ مللیجرام	٥٨ مللیجرام
بوتاسيوم	٥٧ مللیجرام	١٣٨ مللجرام
ماغنسيوم	٣٥ مللیجرام	١٢٥ مللیجرام
فوسفور	١٥ مللیجرام	٩٦ مللیجرام
فيتامين أ	٢٨٠ وحدة دولية	١٨٠ وحدة دولية
فيتامين ج	٥ مللیجرام	١,٥ مللیجرام
فيتامين د	٥ وحدة دولية	٢,٥ وحدة دولية
الطاقة المخزونة في اللبن	٦٥ كيلوكالوري (سعر حراري)	٦٥ كيلوكالوري
نسبة الماء	٨٧,٥ جرام	٨٦ جرام
الحامضية	٧,٣	٦,٨

وطبيعي ان كل لبن يفرزه النوع ، يختلف في تكوينه عن اي نوع اخر ، وكأنما الله سبحانه وتعالى قد وضع في كل « تركيبة » النسب المضبوطة ، لتؤدي إلى توازن مضبوط ، فينشأ على أساسها طفل مضبوط كذلك .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩

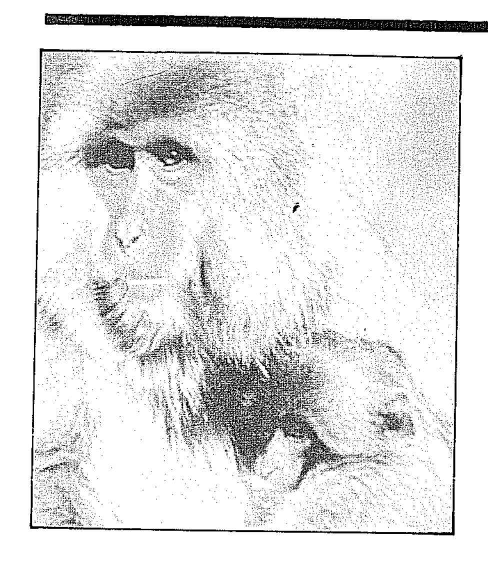
مشاركة مثلى :

ولا يحسبن أحد بعد ذلك أن الرضيع هو وحده الذي يستفيد ، بل إن الأم أيضا تستفيد ، فمن لحظة أن يخرج الطفل من بطن أمه ، تنشأ بين الاثنين علاقة منفعة متبادلة تتمثل لنا في مشاركة طيبة وجميلة .. هي مشاركة حس وعاطفة وغريزة حب متبادل بين الاثنين ، وهذا ما سبق أن قدمناه في دراسة مستقلة على صفحات هذه المجلة بعنوان « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .. ونضيف إلى ذلك بعدا آخر على لسان عالم الأنثروبولوجي الشهير(آشلي مونتاجو) فنراه يذكر .. « لقد ثبت أن الوليد إذا ترك بين ذراعي أمه بعد الولادة مباشرة لتحتضنه ، وإذا قدمت له ثديها ليرضع ، فإن ثلاث مسائل شائكة يخشاها أطباء الولادة من سنوات طويلة قد تحلها تلك الرضعة في التو واللحظة .. أولها خوف من النزيف بعد الولادة ، وثانيها تقلص الرحم ، وثالثها انفصال المشيمة ، وكلها تجد الحل غالبا مع اول رضعة » .. انتهى ما قاله مونتاجو .

ونضيف إلى ذلك أيضا أن الرضاعة من زجاجة جامدة تختلف

اختلافا كبيرا عن ثدي طبيعي يجود بلبنه للرضيع بأيسر ضغطه ، فما أن تلمس شفتاه حلمة الثدي ، حتى تنتقل منها في التو واللحظة نبضات عصبية إلى جزء صغير في قاع المخ يعرف باسم تحت المهاد البصري ، فيستجيب للاشارات الواصلة ، ويرسلها بدوره إلى الغدة النخامية الكامنة فوقه مباشرة ، فتقوم هذه بإفراز هرمون ينتشر في الدم بسرعة ، حتى يصل إلى الثدي ، وعندئذ يحثه على تدفق اللبن في فم الرضيع ، ثم تتكرر الضغطات ، فتشتغل الأعصاب ، ويفرز الهرمون ، ويدر الثدي ، وهكذا تنطلق هذه العملية المتقنة ، وكأنما نحن في الواقع أمام دائرة كهربية تشتغل عن طريق زرار آلي ، وما الزرار هنا إلا شفتا الطفل اللتان تضغطان ، وهنا يحق قول الله عز وجل : (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) لقمان/ ١١ .

ورغم كل ذلك ، فان احتضان الطفل أثناء الرضاعة ، وإحساسه بالملامسة ، وحبه للدغدغة والمداعبة ، لهي من العوامل الهامة في زيادة نموه ، وتكوين شخصيته ، واقباله على الحياة ، وارتباطه بمن لاعبه وأعطاه الحنان ، ولا يمكن والحال كذلك أن تعطيه زجاجة جامدة ، كل هذه الأحاسيس الانسانية السامية ، إذ ليس باللبن وحده تتيسر له الحياة ، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية التي قام بها العلماء ، ليؤكدوا ما وقر في عقول الناس من قديم الزمن ، لأن



لقطة اخرى من عالم الحيوان ، وفيها يستكين الصغير على صدر امه ، ليحس بالأمان بين الأحضان .. وطبيعي ان غريزة الأمومة المبهمة مشتركة بين امهات الحيوان والانسان (لمزيد من التفاصيل -راجع المقال)

جنة الطفل هي الحنان الذي ينبع من أمه .

ففي واحدة من هذه الدراسات التي أجريت على دور الأيتام واللقطاء ، تبين أن معظم أطفالها يموتون مبكرا ، رغم أنهم كانوا يحصلون على نصيبهم من الطعام والمأوى ، لكنهم - في الوقت ذاته - كانوا محرومين من المداعبة والملاطفة والتدليل وكل ما يهواه الطفل في مثل هذه المراحل المبكرة ، وعندما تدخل علماء النفس في ذلك ، وأوصوا بضرورة مداعبة الأطفال واحاطتهم بالحنو والحنان ، انخفضت نسبة الموت بينهم حتى وصلت إلى ١٠٪ فقط .

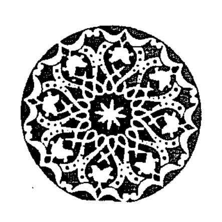
وأخيرا .. فهذا بلاغ للناس عامة ، وللأمهات خاصة .. فلنتق الله في

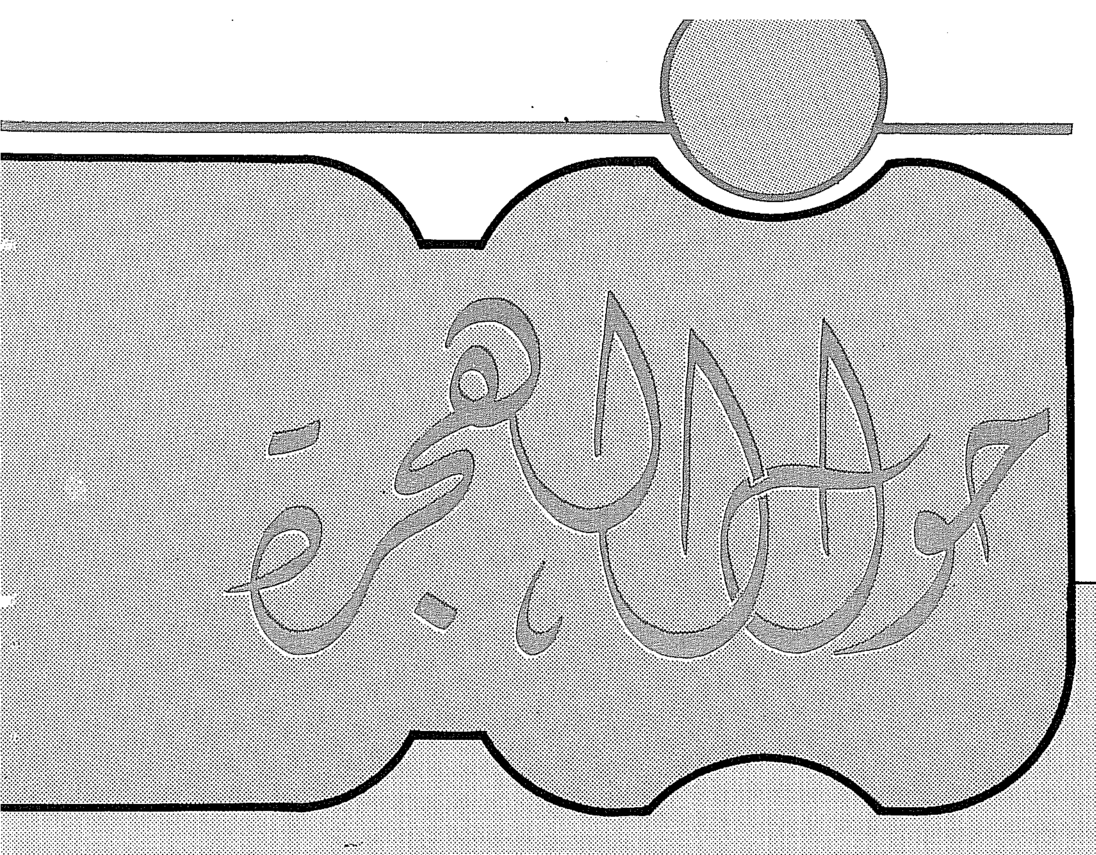
أطفالنا ، ولنمنحهم ما منحنا الله من نعم ظاهرة وباطنة : **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** النحل/ ١٨) **(أفبنعمة الله يجحدون)** النحل/ ٧١ .. وفي هذا الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

تنويه :

بعد أن انتهينا من كتابة هذا الموضوع ، ظهرت دراسة جديدة ومثيرة قبيل إرسالنا لنشره على صفحات هذه المجلة ، وفي هذه الدراسة يذكر جماعة من العلماء أن لبن الأم يحمي الأطفال الرضع من كثير من الأمراض ، إلى أن يحين الوقت لنضوج جهاز المناعة عندهم ، للاعتماد عليه في التعامل مع الميكروبات والطفيليات التي يتعرضون لها .. هذا والجديد في ذلك الموضوع هو أن لبن الأم يستطيع أن يقتل طفيلا دقيقا يعرف باسم « جيارديا » ، وهو من الحيوانات الأولية الدقيقة التي قد تصيب أمعاء الأطفال ، وقد تبقى الاصابة لسنوات طويلة ، لكن الغريب أن كفاءة لبن المرضع يقتل هذا الطفيل حتى ولو كان تركيزه ٣٪ فقط (أي توضع ثلاثة سنتميترات مكعبة من اللبن على ٩٧ سنتميترا مكعبا من الماء النقي) ، وتتم الابادة في غضون ثلاثين دقيقة ، وقد يقتل اللبن الطفيل ، حتى ولو وصل تركيزه إلى ٣,٠٪ ، لكن ذلك يحتاج إلى وقت أطول (حوالي ٢٨٠ دقيقة) !

ولقد تمكن العلماء من عزل المادة الفعالة في لبن الأمهات ، واتضح أنها إحدى مكونات الصفراوية التي تجيء على هيئة خميرة (انزيم) منشطة ولقد جربت هذه المادة على طفيليات أخرى مثل الطفيل الذي يسبب مرض الدوزونطاريا الأميبية ، والحيوان الأولي الهدبي الذي يسبب التهابات القنوات البولية والتناسلية ، فقتلتهما لكن كيف يقوم هذا الانزيم بعملية الابادة ، فلا أحد يعرف سر ذلك حتى الآن ، ويوم نعرف أكثر ، فلا بد أن تقدر أن الله أعظم ، حتى لو كانت هذه المعرفة في رضعة لبن قدرت فيها الأمور تقديرا مذهلا وربما تأتي الأيام بما هو أعجب وأعظم !



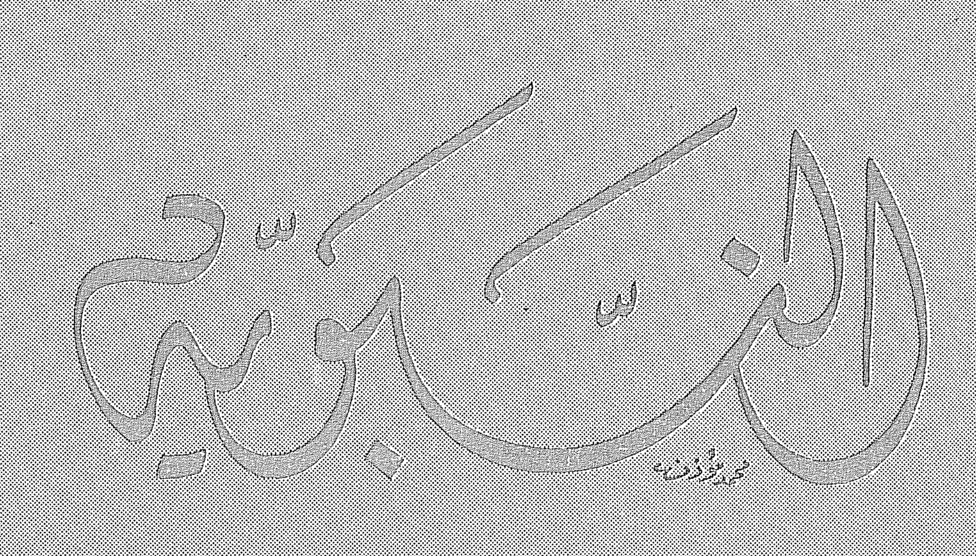


○ المعاني الحقيقية للهجرة :

لقد تعودنا أن نستقبل حادث الهجرة يوما من أيام التاريخ فلا يكاد يذكر حتى يمضي ذلك اليوم ثم تتحـرك عقـارب الـزمن أيـامـا وشهورا . وتعود لتشير الى هذا اليوم فنقف وقفة قصيرة للحديث عنه كما تعودنا . ثم تتحرك عقارب الساعة للزمن لتبدأ دورة جديدة الى ان نقف لمطلع عام جديد وهكذا .
إن أمر الهجرة النبوية الشريفة في نظرنا أعمق وأكبر من تلك النظرة التاريخية التي نستقبل بها حادث الهجرة كل عام . ونقف بها عند ذلك اليوم ,
إن الهجرة ليست مجرد حدث من احداث التاريخ ، يحمل لنا كيانه مثلا فاضلـة ومبادىء كـريمة .. ولكن الهجرة آية من آيات الله التي يعتبر المسلمون بتـلاوتها ، كمـا يعتبرون كتاب الله طرفا من النهار وزلفا من الليل .

○ يجب أن يكون للهجرة معنى كما أراد الله حتى تظل نبضا حيا في قلوبنا وروحا تتردد في كيـاننا . يعيش حدثه بيننا ما كان لنا عيش في الحياة . فيتجرد عندما نطلبه ، ويذكرنا إذا غفلنا عنه . ويدعونا إذا انصـرفنـا لمـلاهي الحيـاة ومشاغلها عن مـواقـع العبـرة والعظة منه .

○ إن الهجرة باقية وستظل باقية



للاستاذ / رفعت محمد مرسى طاحون

الى يوم القيامة . ماوجد مؤمن على ظهر الأرض ينطق بالركن الاول من الاسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

○ إنها هجرة للمعاصي والانحرافات في كل صورها :
وهنا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » رواه البخاري وابو داود والنسائي .

وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله : أي الهجرة أفضل ؟ قال : « أن تهجر ما كره الله عز وجل » رواه ابو داود والنسائي واحمد .
نعم : إن المؤمن في دنياه مطالب بهجر كل قبيح مذموم قولا كان او فعلا .
إنه مطالب بهجر الكلمة الخبيثة الى الكلمة الطيبة التي توصل الى ما ينقطع من صلات بين أخ وأخيه . أملا في الحفاظ على وحدة الكلمة ووحدة الصف . ووحدة الهدف .
- مطالب بهجر الظلم في معناه الفاضح او المستتر : ظلم النفس وظلم الغير .
- مطالب بهجر الفسق والخداع وكل ما يُهبِّط من درجات التكريم لبنى آدم .

ـ مطالب بهجر خلف الوعد والكذب في القول والفعل .
ـ مطالب بهجر اللامبالاة والاهمال في كل مكان للعمل « المكتب ـ المصنع ـ المزرعة ... الخ »
مطالب بهجر هذا كله الى حياة أفضل . يعمل فيها المؤمنون جميعا متعاونين متآزرين معتصمين بالله وحده . كما يقول تعالى جل شأنه : (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) آل عمران ـ ١٠١

● إن العبادات التي أمرنا الله تعالى بها إذا نظرنا فيها نظرة دقيقة نجدها هجرة الى الله واستغراقا في مرضاته . وطلبا في عفوه .

فالصلاة :التي نؤديها خمس مرات في اليوم والليلة . ونكون في أثنائها مع الله وفي صلة به . يهجر فيها الانسان دنياه ويطرحها خلف ظهره حين يدخل صلاته قائلا « الله أكبر » أي أكبر على الدنيا وما فيها ومن فيها من أهل ومال وولد وسلطان وجاه .

والزكاة :هجر للشح والبخل والأنانية . وتحطيم للأثرة وحب النفس ، والتعبد في محراب العرض الزائل من مال وولد وجاه .

والصوم :هجر للطعام والشراب ومتطلبات الجسد وحظوظ النفس . وهجر لفحش القول وسيء العمل الى ما يحب الله ويرضاه عن طريق مراقبة الله وخشيته وتقواه ، لذلك فإن الله تعالى يقول في حديثه القدسي : « الصيام جنة » رواه احمد والنسائي . بمعنى أن الصائم يكون في تقواه ومراقبته لله تعالى في وقاية من كل ما يفسد عليه صومه . فهو مهاجر كل هذه المفسدات ليعيش مع الله عز وجل .

والحج :أيضا رحلة شاقة الى ارض أخرى غير التي كان يعيش فيها الى أرض يمشي في أرجائها بملابس الأحرام تاركا كل زينة كان يألفها ، إنه هجر للرفث والفسق والجدل . هجر الأهل والوطن . هجرة مثالية لله تعالى يرجو فيها من الله الأجر والمثوبة . ويتطلع الى رحمته ورضاه .

● في الهجرة النبوية وما سار على هديها من هجرات .. هداية للناس يستهدون بها . كما يستهدون الى الاشارات المضيئة والعلامات المنيرة في ظلمات الليل .

● إنها مصابيح هدى تخرج الانسان من الظلمات الى النور . وتفتح له طرقا الى الهجرات الى خارج النفس الى ما يشاء الله من هذا العالم الرهيب . وتخرج الانسان من عالمه الداخلي . حيث يهاجر المرء من الخمول والكسل الى السعي والعمل . ومن المعاصي الى الطاعات . ومن الشرور الى الخيرات بل ومن الكفر الى الايمان .. ومن الضلال الى الهدى .
عموما : فهذه بعض المعاني الحقيقية التي يجب أن ينشدها الانسان في حياته من الهجرة النبوية . فانها حياة

متجردة للقوة والخير ـ زاخرة بالهدى والحق .

○ **دروس في الهجرة** :

إن الهجرة حدث عالمي لم يقلل من أهميته أحد من المسلمين . ولا من أعداء الاسلام .
فالهجرة صور بديعة أخلاقية جديرة بأن نقف عندها . لنرى ألوانا زاهية من الايثار والتضحية والوفاء .
وفي قمة الدروس المستفادة التي نقتبسها من الهجرة هي :
● عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم : التي تجلت في قوة عزيمته . وصبره على الشدائد دون أن يتطرق اليأس الى قلبه في أحلك الأوقات . فحين ضعف أمله في الفوز بمكة ، ترك مسقط رأسه وترك متاعه وأهله الى ارض جديدة أكثر خصوبة واكثر استعدادا للنبت الصالح . إنها العقيدة أهم عند الأبطال من راحتهم ومن حياتهم .
● كانت تضحية غالية وعزيزة : تضحية في سبيل الحق والعقيدة التي يحيا المسلم من أجلها ويموت من أجلها : حيث مكة موطنهم التي درجوا منه وألفوه . ولهم بسكناه شرف وزعامة على سائر العرب . وفيه أموالهم وأهلوهم وفيه حرمهم الآمن وبيتهم العظيم منذ عهد ابراهيم .
● كانت انتصارا على النفس : في تحمل مرارة الاغتراب والبعد عن المال والسكن . وانتصارا على النفس في الصبر على الشدائد والصمود في وجه الباطل .
● لم تكن الهجرة كهجرة الطيور من اوكارها الى مواقع المياه والرياض . ولكنها هجرة أرواح تسامت في أهدافها عن أعراض الدنيا ومتاعها وطرفها ولذائذها إصلاحا لله تعالى . وقبولا للتضحية التي أمر الله بها في مواطن كثيرة .
● كانت نقطة انطلاق : من بناء الفرد الى بناء المجتمع . وبالتالي الى بناء الدولة تحقيقا للاستقرار والتوطن . إذ لم يكن تأسيس دولة اسلامية يستطيع المسلمون أن يعيشوا فيها احرارا يزاولون فيها الحق الذي فرضه الله لكل إنسان في العبادة والعقيدة والتوطن .
● كانت الهجرة مظهرا من مظاهر الصبر على الشدائد ، والصمود في وجه الباطل وعدم قبول اليأس من نصر الحق .
● كانت مظهرا من مظاهر الاختبار للايمان الصحيح : ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .. لأن المهاجرين ضحوا بترك اموالهم وديارهم ومتاعهم . ومن جانب الأنصار ضحوا في إيثارهم المهاجرين على أنفسهم ومعاداتهم لقريش ، ولقريش منزلة عند سائر العرب .
● لم تكن الهجرة استسلاما للعدو . أو تصفية للنزاع . أو تجميدا للموقف . ولكنها خطة عبقري وتدبير ماهر للاحاطة بالعدو وقهره . فهي تشبه في عصرنا « بنقل المعركة » من ميدان غير صالح وهي مكة الى ميدان آخر صالح وهي المدينة المنورة . لفتح

باب جديد للأمل والرجاء والنصر .

● كانت حماية من التعذيب والفتنة للمسلمين بمكة . لأن قريشا بعد وفاة أبي طالب عم الرسول والسيدة خديجة قد صعدوا حركة الاضطهاد والتعذيب
● بالهجرة اصبح للمسلمين دولة خاصة ومعسكر خاص ، وقلعة متميزة بعيدة عن معسكر مكة ، يمكن أن يقام فيها من قواعد العمران ووسائل الدفاع ما ينقل المسلمين من حالة الخوف الى الأمن . ومن الذل الى العز . ومن الواقع المحزن الى المستقبل الباسم .
● فيها من عناصر التكتيك الحربي ما يدل على عظمة التخطيط .
ـ فكان عنصر المفاجأة بالهجرة : حيث أن موعد الهجرة قد أخفى تماما عن الناس ما عدا أبا بكر مما ساعد على نجاحها .
ـ التمويه : فقد ترك رسول الله عليا في فراشه للتضليل والتمويه على الأعداء مما يساعد على تحقيق الهدف .
ـ تضليل المطاردين : حيث من الغرابة البارعة تلك الحيلة التي قام بها الرسول وصاحبه لتضليل المطاردين ، فقد كان رسول الله يدرك ان قريشا ستنتشر في طريق يثرب باحثة عنه ، محاولة الحيلولة بينه وبين هدفه . فبدلا من اللجوء الى الصعود للشمال حيث يوجه القوم اهتمامهم . يهبط قليلا الى الجنوب حيث يقل البحث عنه عند هذا الاتجاه .
لم يأخذ طريقه الى المدينة مباشرة ، وانما لجأ الى الغار بضع ليال حتى يتعب الباحثون ويعودوا دون أمل الى دورهم .

الوفاء عند الشدة : يضربه لنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه . فكم تخلى صديق عن صديقه عند الأزمات خوفا من ان تمتد له هذه الأزمات أو تصيبه بمكروه ، ولكن ابا بكر الصديق سخر كل شيء يملكه لكي تنجح الهجرة . وقد شمل ذلك :
« نفسه وماله وبنته ومتاعه ».

○ **الأيثار والتضحية** : ضربه لنا علي بن أبي طالب . فلقد قبل علي عن طيب خاطر أن ينام في فراش الرسول . مع أن الموت كان قاب قوسين أو أدنى ممن ينام في فراش الرسول .
● الصدق والثقة بالله . وصدق التوكل على الله في المواقف الصعبة : حيث لما أتى الرسول وأبو بكر الغار دخل أبو بكر الغار ليختبره . وهو يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قتلت فأنا رجل واحد من المسلمين . وان قتلت أنت هلكت هذه الأمة »وحينما رأى أبو بكر اقدام المشركين اكتأب وحزن . فقال : « يا رسول الله لو أن بعضهم نظر الى قدميه لأبصرنا » فقال الرسول : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » فأنت إذا استشعرت أن الله معك . لم يعرف الحزن الى قلبك سبيلا . ولو فتش كل واحد منا داخل نفسه فوجد حزنا او قلقا . فمعنى ذلك انه في هذه اللحظة غائب عن شهواته واستشعار معيته .

○ **الحب الذي تجلى في سلوك أصحاب الرسول :**
فقد نصروه في كل المواقف . وهنا اجتمعت القلوب على الأيمان بالله ورسوله وتحققت المعجزات . من اجل هذا الحب بات علي رضي الله عنه في فراش الرسول تضحية وفداء . وهنا يقول رسول الله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » متفق عليه .

● أخوة الايمان وهي رباط المسلمين : فقد آخى رسول الله بين المهاجرين والانصار فذهبت عن المهاجرين الوحشة والغربة ـ كما ذاب عنهم ألم الفراق للوطن والأهل والعشيرة . وتآلفت القلوب على نعرة الاسلام . وأخوة الأيمان هي الرباط الذي يربط به المسلمون جميعا في كل مكان وزمان . ليصبحوا جسما واحدا وأمة واحدة لا فرق فيها بين شريف ووضيع ، وغني وفقير . وعربي وأعجمي .

أخي المسلم :

يجب على كل مسلم ان يتعلم هذه الدروس . وان ينتفع بها في حياته وان يسير على الهدى الذي رسمه له هؤلاء القادة . وأولئك الصفوة من بناة الاسلام ، لينالوا الخير في الدنيا والآخرة .

الهجرة كانت انتصارا لا فرارا :

○ **اذا كانت الهجرة لبعض المسلمين الى الحبشة فرارا بدينهم . فان هجرة الرسول التي غيرت مجرى التاريخ لم تكن خوفا ولا فرارا . ولكن تنفيذا لخطة محكمة مرسومة وضعت واخذت عليها البيعة والميثاق . فلم يهاجر رسول الله خوفا من بطش قريش وجبروتها ، بل تنفيذا لوعد أبرم قبل مع بعض القبائل الوافدة من يثرب الى مكة في موسم الحج .**

○ **لم يهاجر رسول الله حقدا أو بغضا لظالميه من أهل مكة . أو حنينا الى منصفيه من اهل المدينة ، بل دعاؤه : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » .**

○ **كانت هجرته حبا للبشرية كلها . وايمانا بالحرية . وتأمينا لها وحفاظا عليها ولقد كانت من اعظم الأحداث التي شهدتها الانسانية . كانت نموذجا حيا متجددا على مر العصور . قادرا على الالهام بأعظم الأعمال مقدما أروع القيم والمثل . واحكم التدابير التي تكفل النجاح .**

○ **وكانت الهجرة عملا بطوليا قام على اساس في التخطيط المحكم والتنظيم السليم .**
فقد حدد الرسول هدفه من الهجرة . وكان الأسلوب الذي اتبعه في رحلته كفيلا بتحقيق الهدف ، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة ويتفق مع الظروف المحتملة . ونظم هذه الوسائل تنظيما محكما . ونفذها بأسلوب سديد وواقعي . فنجحت خطته وأدرك غايته .

عناية الله لنبيه في الهجرة :

يجمع المؤرخون على انه لم يكن في حياة

الرسول الكريم حادث اعظم شأنا واجل أثرا في ذيوع الاسلام وانتشاره بين ربوع العالم ، من حادث الهجرة من مكة الى المدينة .

فقد كانت نقطة تحول في تاريخ الدعوة الاسلامية ـ وفتحا مبينا للاسلام لأنه انتقل من حالة الدفاع واحتمال الأذى الى حالة الهجوم وتجميع الجند والأنصار للفتح الاسلامي الكبير وهو فتح مكة وكسر شوكة المشركين . وتدمير الشرك في عقر داره .

فلم يكن لهذا الفتح العظيم أن يحصل الا بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة وحفظا لرسول الله من ان تناله يد البغي والشرك بأذى . وتثبيتا لايمان المؤمنين بدعوته . ولفتا لأنظار ذوى الفكر والاعتبار الى صدقه في دعوى الرسالة من الله تعالى الى الناس كافة . فقد أيد الله رسوله بمعجزات خارقة . من هذه المعجزات :

● إلقاء النوم على الأربعين شابا الذين اجتمعوا لقتله صلى الله عليه وسلم تنفيذا لمؤامرة دار الندوة التي أشار بها أبو جهل . فلما كانت عتمة الليل اجتمع الشباب على باب رسول الله يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه . وهنا أخبر الله نبيه بالمؤامرة عن طريق جبريل عليه السلام . وأمره ألا يبيت في فراشه هذه الليلة . وهنا أمر رسول الله عليا بن أبي طالب بالمبيت في فراشه وان يتسجى ببردته .. وخرج عليهم رسول الله وقد أخذهم النوم لحظات ، فأخذ رسول الله حفنة من التراب في يده وجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو قوله تعالى : **(فاغشيناهم فهم لا يبصرون)** يس ـ ٩ . وهنا اخذ الله ابصارهم فلم يروه . وذهب الى بيت ابي بكر الصديق .. ومنه الى الغار .

ويلاحظ هنا : أن نوم الناس بالليل أمر عادي ، ولكن القاء النوم على هذا العدد الكثير في وقت واحد أمر غير عادي . بل هو خارق للعادة أحدثه الله تعالى حفظا لرسوله الكريم وتأييدا له . وإذلالا للمشركين وإهانة لهم . وهذه المعجزة بمثابة الاعلان الالهي لهؤلاء المشركين بأن الله تعالى لن يتخلى عن نبيه محمد والمؤمنين به مهما تكن الظروف

○ ما حدث في الغار :

عندما اختبأ رسول الله هو وأبو بكر في غار ثور . أمر الله شجرة في مقبرة من الغار فانتقلت حتى سدت فتحة الغار .. وبعث اليه عنكبوتا جعل ينسج شبكته بين اغصان الشجرة وزوايا الكهف ـ ثم امر زوجا من الحمام البرى فبنى عشه في مدخل الغار ووضعت الأنثى بيضها أسفل الفتحة ..

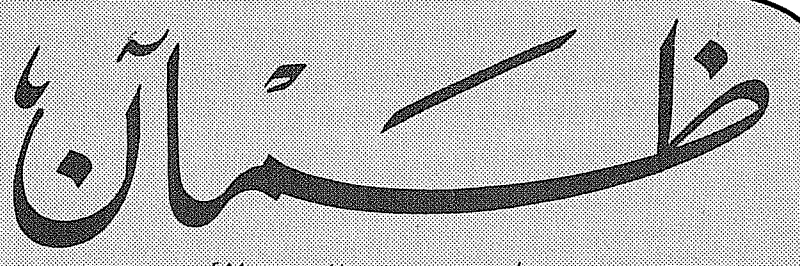
وهكذا جعل الله تعالى أضعف الأشياء سببا لحماية الرسول وهو العنكبوت والحمام حيث لما وصل المشركون الى مكان الغار بعد قص الأثر . وقفوا حيارى أمام نسيج العنكبوت وعندئذ قال أمية بن خلف :

« . . . . إن عليه عنكبوتا كان قبل ميلاد محمد . ولو دخل الغار لتمزق ذلك النسيج وتكسر البيض » .

وفي هذه الفترة يقول أبــو بكر الصديق خوفا على حياة رسول الله : « يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا » فقال رسول الله : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن إن الله معنا ».
وهكذا اعمى الله المشركين ونجـا رسوله وصـاحبه . وجعـل أضعف الأشياء سببا في حماية رسول الله وصحبه .

● حادثة سراقة بن مالك بن جعشم « من بني مدلج » :
فقد اتفق العلماء وأئمة الحديث على أنها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من رب العزة .
وذلك : أنه صلى الله عيله وسلم عندما خرج من الغار مع صاحبه بعد ان مكثا ثلاث ليال . وكان ينتظـرهما بالراحلتين عبد الله بن أريقط دليل الطريق . ركب رسول الله وأبو بكر راحلتين للطريق الى المدينة . وقد علم بمكانهم سراقة ـ وكانت قريش قد رصدت « مائة من الأبل » لمن يأتي بمحمد حيا او ميتا . فطمع سراقة في هذه الجائزة الكبيرة . وخرج في أثرهم بفرسه . ومعه زاده وسلاحه وظل يستحث فرسه وكانت تكبو به مرة بعد الأخـرى . حتى اقتـرب من ركب الرسول . وسمع قراءته والرسول لا يلتفت اليه . ولكن ابا بكر كان كثير الالتفات وقد تملكه القلق الشديد . وقال يا رسول الله هذا طلب قريش ادركنا وعرف أنه سراقة وهنا : دعا رسول الله سراقة . فدعا رسول الله قائلا : « اللهم اكفناه بما شئت » فغاصت أقدام فرسه في الارض بالرغم من أن الفرس صلب . وفر سراقة من فوقها وظل يلعنها ويزجرها لتنهض . ولكنها لم تزد بمجهودها الا إيغالا في الارض حتى غاصت لبطنها . وخرج من مكان خوضها دخان شديد .
يقول سراقة : فتملكني الذعر وعرفت ان هذا من دعاء محمـد . وأنني تماديت في غيي فسيحل بي العذاب من الله .. فناديت قائلا يا محمد إني أطلب منك الأمان ولأخبرنك بما ينفعك ولأردن عنك من يتبعونك . ولكن ادع الله أن يطلق فرسي . فرفع محمد يديه الى السماء قائلا :
« اللهم إن كان سراقة صادقا فأطلق دابته » فانطلقت قوائم الفرس من الأرض فـركبهـا ولحقت بهمـا . وعـرضت عليهما زادى وسـلاحى فرفضا أن يأخذا شيئا .
وقال له رسول الله : ولكن عم عنا . ووعـده بسوارى كسـرى . فقـال سراقة : قد كفيتم ثم رجع .

● شاة ام معبد وإدرارها للبن لما حلبها رسول الله وهي حائل وكانت شديدة الضمور هزيلة ، فأم معبد هذه امرأة من بني كعب . نزل بها رسول الله وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط .. وهم في طريقهم الى المدينة فسألوها لحما وتمرا بالشراء . فلم يصيبوا عندها شيئا . وحينما رأى رسول الله شاة بجوار الخيمة لا تدر فاستأذنها بحلبها . فمسح ضرعها وحلبها فدرت درا غزيرا وشربوا منها جميعا ـ فهذه كانت معجزة له وبايعته المرأة .



للأستاذ/عمر بهاء الدين الأميري

يا رسول الله إشراقك

أنى شمت .. لاح ...

وشذى الجنة من

روضتك الزهراء فاح

وفؤادي يا رسول الله

في ساحك ساح

هائما ... متقد الأشواق

خفاق الجناح

زفراتي لاهبات

الوهج ، والقلب جراح

يا رسول الله ، هل من

نهلة تروي الطماح

وتفك الغل عن عزمي

فأمضي في سراح

فأنا أكدح في قيدي

والبيد شحاح

ولقد أثقلني في

غربتي العبء الرزاح

كلما قلت : دنا ،

باعدني قصدي وراح !

فيا رباه جد لي بالفلاح

واحبني في ظمأ

الروح ، ولو قطرة راح

من سلاف الخلد ، من

نور الهدى الثر القراح

شمت : تطلعت ونظرت
الطماح : الفخر والتطلع الى السمو
الغل : القيد
الرزاح : العبء الرازح : الذي يثقل على الكاهل حمله
دسى : أفسد وأغوى
سلاف : السلاف : أجود الخمر
الثر : الغزير
القراح : الصافي الخالص



حين يحتفل المسلمون في شتى أنحاء الأرض بمناسبة بدء السنة الهجرية يسيطر على أذهانهم وعقولهم حادث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، حتى ليظن بعض الناس أن هجرة الرسول كانت في أول المحرم ، ولكن علماء السيرة يكادون يتفقون على أنها بدأت في أواخر شهر صفر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر وصلا المدينة بعد مضي أكثر من عشر ليال من شهر ربيع الأول من السنة التي أرخ بها للهجرة ، وإن اختلفوا في تحديد يومي البدء والنهاية . وقد ذكر ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وسلم وصل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

وقد مر بذهني بهذه المناسبة خاطر أسجله هنا لاعلى أنه جديد لم أسبق إليه ، فهذا ما لا أدعيه ، ولكني أسجله وفاء لما تستحقه هذه المناسبة الكريمة من تقدير وتشريف . هذا الخاطر هو أن محمدا صلى الله عليه وسلم عاش هاجرا ومهاجرا ، من بدء حياته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن أدى رسالته ـ كما أراد الله ـ على أتم وجه وأكمل صورة .

معنى الهجرة :

وإيضاح هذا الخاطر يتطلب بيان معنى الهجرة في اللغة ، حتى يتضح لنا كيف كان عليه الصلاة والسلام مهاجرا طول حياته .

فالهجر في اللغة هو التباعد والترك . يقال هجر الشيء إذا تركه وابتعد عنه ، وهاجر فلان : إذا ترك وطنه . والهجرة هي الخروج من أرض إلى أخرى ، وانتقال الانسان من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق .

هجرة الطفولة الأولى :

وعلى هذا ، وبشيء من التجاوز يمكن أن نقول : إن الله أراد لنبيه أن يكون مهاجرا منذ ولادته ـ وإن لم يكن ذلك بإرادة الرسول ـ حين أخذته حليمة السعدية لترضعه على عادة العرب ، وإن كان ذلك ليس خاصا بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فقد كانت هذه عادة عربية لها أسبابها ودوافعها .

هجرة عقلية وشعورية :

ويمضي الزمن ، ويعود محمد إلى أهله ، ويشب عن الطوق ، ولكنه يكون مهاجرا ـ أيضا ـ وهو في أهله ، وبين قومه .

يرى في الجاهلية عادات تنفر منها النفوس الطاهرة ، وقيما تأباها الفطر السليمة ، وأخلاقا لا تقرها العقول الراجحة ، ولكنه لا يملك تغيير ذلك ، فيهجر ذلك كله ، وينفر من المجتمعات التي تقوم عليه ، ويتبع ما تمليه عليه فطرته السليمة ، فلا يشارك الشباب لهوهم ، وحين يوجد في حفل عرس يغلبه النوم فلم يشعر بما كان من لهو وعبث ، كأنما أراد الله له أن يهاجر بعقله وشعوره ، فيظل طاهرا لا يدنسه رجس أو فساد .

هجرة بالروح والجسد ، وبالعقل والشعور :

ويجد محمد قومه يتقربون إلى الحجارة يقدسونها ، وإلى الأصنام يعبدونها ، وإلى الأوثان يؤلهونها ، معتقدين أنها تنفع وتضر ، وتعاقب وتثيب ، ويدرك بفطرته أن هذا كله باطل وضلال ، فيلجأ إلى هجر قومه ، وتكون هذه الهجرة بالروح والجسد ، وبالعقل والشعور أيضا ، ويقرر أن يسمو بجسمه فيصعد إلى الغار ، وأن يسمو بعقله فيتطلع إلى السماء يتأمل قدرة الله وبديع صنعه ، وينظر إلى الدنيا من عليائه فيراها تافهة في قيمتها ضئيلة في قدرها ، وإن كانت عظيمة في

دلالتها على قدرة الله .

يخلو عليه الصلاة والسلام إلى نفسه في غار حراء ، فتزيد صفاء ، وإلى ربه فيزداد يقينا بما حيس ويشعر من أن قومه على الباطل . ويتمنى لو أنه استطاع أن يفعل شيئا لهؤلاء القوم الذين ينتمي إليهم ويحبهم ، ولكن محاولة كهذه لن يكتب لها النجاح ، فهو في نظرهم صغير السن ، فقير يفتقر إلى الجاه والسلطة ، وهيهات أن يستمعوا إليه ، أو يستجيبوا له . وإذا كان الحكماء ممن اهتدوا إلى مثل ما اهتدى إليه ، من وجود إله واحد يدبر هذا الكون ، ويصرف شؤونه .. لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا يغيرون به من أحوال أقوامهم ، فاكتفوا بأن سجلوا ما اهتدوا إليه في حكمة ، أو في بيت من الشعر كما فعل أمية بن أبي أبصلت وكما قال :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

أو في خطبة عامة ، كما فعل قس بن ساعدة في خطبته المشهورة .

إذا كان هؤلاء ـ على مكانتهم ـ لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، فأنى لشاب كمحمد أن يفعل شيئا يحاول به التغيير ؟ إنه لا يملك إلا أن يهجرهم في أوقات يتفكر فيها في ملكوت السموات والأرض .

وكان هذا الضلال الذي يرى قومه فيه يؤلمه ويضنيه ، وكان بعده عنهم ـ وهو الموقف السلبي بلغة عصرنا ـ يشقيه ويؤذي نفسه ، وكان شعوره بالغربة ـ وهو بين ظهرانيهم ـ يقلقه ، وإحساسه بعجزه عن أن يفعل شيئا ينقذهم من ضلالهم ـ وهم أهله وعشيرته ـ يقض مضجعه ويؤرقه ، فينظر إلى السماء ضارعا إلى الله ، ويتمنى لو أن الله غير من أحوالهم ، وبدل أمورهم إلى ما يوافق العقل السليم ، والفطرة النقية .

وكانت هذه الهجرة إلى الغار تمتد شهرا من كل عام . أوردا بن هشام عن عبيد ابن عمير : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في غار حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية » فهو في عزلته هذه ينهج بعض ما كان لقريش من نهج صالح ، حين كانوا يتحنثون ـ أي يتعبدون ويعتزلون عبادة الأصنام ـ « فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم رجع إلى بيته »

التهيئة لتلقي الوحي :

ظل النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال ، فكان مهاجرا بعقله وروحه ، وهو بين قومه يمارس حياته العادية ، كما يمارسها عقلاء الشباب من رعي وتجارة

وغيرهما من الأعمال الشريفة ، ومهاجرا بجسمه وعقله وهو في الغار شهرا من كل عام ، فيه يجدد صلته بالسماء ، ويقوى ما يكون قد ضعف منها ، وبذلك تهيأت نفسه للأمر العظيم ، وأصبح مستعدا لتلقي خبر السماء واضحا « حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله إلى غار حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى ..

(**إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥

ويتصل محمد صلى الله عليه وسلم بالسماء اتصالا وثيقا عن طريق الوحي فتطمئن نفسه ، وتغمره سعادة نفسية فائقة لا يمكن لبشر أن يعبر عنها أو يصل إلى كنهها . ومن ذا الذي يستطيع بقلمه أو بلسانه مهما أوتي من الحكمة والبيان . وفصاحة اللسان أن يصل إلى جوهر السعادة التي كان فيها الرسول ؟ إن مردها إلى الاتصال بالله الذي يوحي إليه ، فهي سعادة لا تدانيها سعادة .

ولهذا حزن الرسول أشد الحزن ، وذهبت به الظنون كل مذهب حين فتر الوحي ، وتوقف مدد السماء فترة من الزمان ، ويستطيع القارىء أن يتصور ما آل إليه أمر الرسول في تلك الفترة .. ويعيش الرسول المصطفى هذه الفترة وقد هجرته السعادة ، وشمله حزن مضن ، ولكن السماء تعمل على أن تزيل ما بنفسه من أسى ، فيأتيه الوحي يؤكد له أن الانقطاع لم يكن نهائيا ، وان ربه ما تركه وما كرهه : (**والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى**) الضحى/ ١ ـ ٣ وأن الله قد ادخر له في الآخرة الباقية ما يفوق الدنيا وما فيها : (**وللآخرة خير لك من الأولى**) الضحى/ ٤ ـ وأنه سيمنحه من خيري الدنيا والآخرة ما يرضيه :(**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) الضحى/ ٥

وتعود السعادة فتغمر نفس الرسول فيهدأ ، ويطمئن قلبه فيصفو ، وتسمو روحه الشفافة ، ويعود إليه يقينه بحب الله .

والمسلمون ـ أيضا ـ هاجروا بعقولهم :

ويدخل في الاسلام من أراد الله له أن يسلم حين دعا الرسول أهله وأقرباءه امتثالا لأمر ربه : (**وانذر عشيرتك الأقربين**) الشعراء/ ٢١٤ وهجروا بذلك دين آبائهم ، فهم مهاجرون بنفوسهم وعقولهم وإن كانوا بأبدانهم موجودين بين أقوامهم .

ويعبد هؤلاء السابقون ربهم سرا ، خوفا من قريش وبطشها ، ويظلون كذلك إلى أن يأتي أمر الله لرسوله أن اجهر بدعوتك غير عابىء بالمشركين ، ولا تقم وزنا لسخرية الساخرين ، ولا يحزنك استهزاء المستهزئين ، فإني مؤيدك وناصرك ،

وأخلص العبادة لي فإني حافظك ودينك إلى يوم القيامة . (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون . ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**) الحجر/ ٩٤ ـ الخ السورة

الهجرة الأولى بالجسد والروح :

ويحدث ما كان يخشاه المسلمون من بطش قريش بهم ، ليردوهم عن دينهم . إن استطاعوا ـ ويشتد على المسلمين ضغط الكفار الذين أغراهم أن كثيرا من المسلمين كانوا من الأرقاء والمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة ، فكانوا يحبسونهم ويعذبونهم عذابا شديدا ، وهم على العذاب صابرون وبدينهم متمسكون .

الهجرة إلى الحبشة :

ويأمر الرسول أتباعه بالهجرة إلى الحبشة اتقاء لعذاب قريش ، ويجدون عند النجاشي ـ كما توقع الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ملاذا ، فيحميهم ويمنعهم ، وتفشل محاولات قريش أن يسلمهم المسلمين المهاجرين . ويقوى أمر الاسلام ويشتد ، ويزداد أتباعه ، ولكن أذى قريش لا يفتر وحرصهم على القضاء على الاسلام لا يضعف .

وتتطور الأحداث وتستمر مسيرة الاسلام فيتخطى حدود مكة ، وتكون بيعتا العقبة ـ الأولى والثانية ـ ويدخل الاسلام المدينة ممثلا فيمن أسلم من الأنصار الذين بايعوا محمدا على الاسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه وأوى إليه من المسلمين .

هجرة المسلمين إلى المدينة :

ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من قومه ، وممن معه بمكة أن يهاجروا إلى المدينة ؛ فقد أصبحت الطريق ممهدة لهجرتهم بعد العقبة ، وهكذا هاجر المسلمون من مكة ، واستحقوا اسم المهاجرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وبهذه الهجرة أمن الرسول عليه الصلاة والسلام تعذيب الكفار للمسلمين ، وإن كان الصراع بين الاسلام والكفر لا يزال قائما .

وأيقن مشركو مكة أن محمدا لابد مهاجر إلى المدينة ، ليلحق بأتباعه من الأنصار والمهاجرين ، إذ لا معنى لبقائه في مكة بعد أن هاجر أغلب المسلمين ،

واصبح لهم دار جديدة ، لهم فيها قوة ومنعة . كما أيقن الكفار أن المسلمين لا بد وأن يحاربوهم بعد أن أذن الله لهم في قتال ظالميهم : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**) الحج/ ٣٩ و ٤٠

واجتمع الكفار ليقرروا في شأن محمد أمرا ، إنهم لن يتركوه يذهب إلى المدينة ، فيزداد أتباعه وأنصاره ، ويقوى شأن المسلمين ، ويصبح من المستحيل تحقيق غاية الكفار بالقضاء على الاسلام ، وانتهوا إلى ضرورة التخلص من محمد نهائيا ، ولن يكون ذلك إلا بقتله ، ووضعوا لقتله خطة يتفرق بها دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل فيرضون الدية . ويحزم الكفار أمرهم لينفذوا خطتهم ، ويجتمع الشباب الذين كلفوا قتل الرسول فيقفون على بابه ومعهم أبوجهل يذكي فيهم الرغبة في قتل محمد ، ولكن الله يعلم نبيه بما دبروا له ، فيأمر ابن عمه عليا فينام في فراش النبي متسجيا ببرده ، وتفشل خطة الكفار ، وينجي الله نبيه على النحو الذي أوردته كتب السنة والسيرة . قال تعالى : (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) الأنفال/ ٣٠

ويختار النبي أبا بكر رفيقا له في رحلة الهجرة ، وكان أبو بكر كثيرا ما طلب من الرسول ان يأذن له في الهجرة ، وكان النبي يمهله ويقول له : « لا تعجل . لعل الله يجعل لك صاحبا » . فيطمع ابو بكر ان يكونه . ويتمنى تحقيق هذه الرغبة . بل ان هذا التمني قد وصل الى ما يشبه التيقن من مرافقته الرسول في هذه الرحلة فأعد لها راحلتين .

دقة التخطيط للهجرة :

والأمر الذي يلفت النظر في الهجرة هو التخطيط الدقيق لها ، ذلك التخطيط الذي لا يصل الى مثل دقته واحكامه اي تخطيط لأي عمل مشابه في أرقى الدول والعصور . وأنى له ان يصل الى مثل تخطيط الهجرة الذي كان بالهام من الله تعالى .

ولعل اشبه عمل بالهجرة في عصرنا الحديث هو تحريك الجيوش من مكان الى مكان . وحين يقرر العسكريون القيام بمثل هذه المهمة فانهم يدرسونها دراسة وافية توفر لها ضمانات وشروطا يأملون ان تحقق للمهمة اكبر قدر من النجاح . واهم تلك الضمانات والشروط :

١ ـ السرية التامة

٢ ـ رسم الطريق ومعرفة كل دقائقه وتفاصيله

٣ ـ توفير الحماية من جميع الاتجاهات (الأمام ـ الخلف ـ اليمين ـ اليسار ـ

الجو « عند وجود طائرات للعدو » .
٤ ـ الاخفاء والتمويه
٥ ـ معرفة اخبار العدو « الاستطلاع » .
٦ ـ توفير الاحتياجات اللازمة للرحلة من طعام وشراب وغيرهما ، او ما يسمى بلغة العصر « الامداد والتموين » .

وقد توفرت للهجرة النبوية كل هذه الضمانات مع الفارق في الامكانات . ولكن هذه المبادىء كلها قد روعيت مراعاة تناسب العصر .

١ ـ اما السرية فقد توفرت بكل معانيها ، اذ لم يعلم بأمر الهجرة من البشر الا من شاركوا فيها ما عدا عائشة بنت ابي بكر التي لم تشارك فيها مشاركة ظاهرة ، ولكن الثقة فيها شجعت الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخبر أبا بكر ان الله قد اذن له في الهجرة على مسمع منها . يدل على ذلك ان النبي طلب من ابي بكر ان يخرج من عنده حتى يخبره بأمر الهجرة فقال ابو بكر : يارسول الله . انهما ابنتاي ! فهذه الجملة من ابي بكر حملت الى الرسول كل معاني الثقة والاطمئنان الى الفتاتين مما شجعه على أن يخبره الخبر وهما موجودتان .

● فهذا علي بن ابي طالب حل محل الرسول في فراشه خداعا للكفار حتى يتوفر للرسول وقت يدبر فيه امره ، ويتمكن من الاختفاء عن اعين الكفار قبل ان يتنبهوا الى عدم وجوده .

● وابو بكر صاحب الرسول ورفيقه والذي وفر وسيلة الانتقال ، فقد كان اعد الراحلتين ، كما انه تولى وحده امر حماية الرسول من جميع الجهات ، وفي كل اوقات الرحلة . ذكر ابن هشام عن الحسن البصري « انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار ليلا ، فدخل ابو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار ، لينظر : افيه سبع او حية ؟ يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وتروى كتب السيرة ان ابا بكر كان في اثناء الرحلة ، وعلى امتداد الطريق يغير مكانه من رسول الله ، وهو يسير ، فتارة يتقدم الرسول ، وتارة يكون خلفه ، وثالثة عن يمينه ، ورابعة عن يساره ، يتلفت وينظر في كل اتجاه حول الرسول خوفا عليه من عيون الكفار ، وليطمئن الى ان احدا لا يتبع الرسول او يراه ، وبهذا يكون ابو بكر قد وفر وحده ـ امر الحماية من كل جانب .

● وعبدالله بن ابي بكر الذي قام بأمر الاستطلاع ، ومعرفة اخبار العدو ، فقد كان يقضي نهاره في قريش يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وابيه ، ثم يأتيهما اذا امسى فيبلغهما ما حصل عليه من اخبار .

● اما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر فقد تولى مسؤولية « الاخفاء والتمويه » اذ كان في النهار يرعى في رعيان اهل مكة ، فاذا امسى أراح على الرسول وصاحبه غنم ابي بكر فاحتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبدالله من عندهما الى مكة اتبع عامر أثره بالغنم حتى يعفى عليه ، فلا يجد الكفار اثرا يتبعونه ليهتدوا به الى مكان الرسول .

● واسماء بنت ابي بكر التي وكل اليها امر الامداد والتموين ، فكانت اذا امست تأتي اباها والرسول من الطعام بما يصلحهما حتى اذا مضت ثلاث ليال وسكن الناس عنهما اتتهما بسفرتهما « طعام سفرهما » .

● وعبدالله بن ارقط الذي تولى امر الطريق ، اذ كان دليل الرحلة يرشدهما في طريقهما الى المدينة حتى لا ينحرفا عن غايتهما .

وكان اختيار ابن ارقط ـ وهو على دين قريش ـ لهذه المهمة امرا مقصودا ، ذلك انه مما لا مجال للشك فيه ان المسلمين كان فيهم من يعرف الطريق معرفة ابن ارقط ان لم يكن اكثر ، وربما يظن انه يكون اضمن لسرية الهجرة من دليل يدين بدين قريش ، ولكن الواقع غير ذلك لما يأتي :

١ ـ انهما لم يختارا ابن ارقط الا وهما مطمئنان كل الاطمئنان الى انه لن يخبر قريشا بأمرهما .

٢ ـ كون الدليل على دين قريش يقضي على اي احتمال يدور في اذهان الكفار بوجود الرسول في مكان يوجد فيه واحد من اهل دينهم .

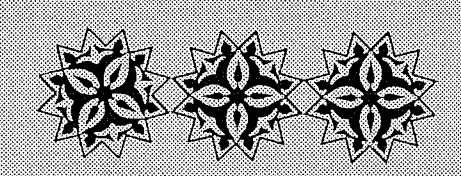
اما اذا كان الدليل من المسلمين فان وجوده سيكون مرشد قريش الى مكان الرسول ، وعلى كل فانه بعد ان مضى على الرسول وصاحبه في الغار ثلاث ليال اطمأنا بعدها الى ان الناس سكنوا عنهما جاءهما ابن ارقط ببعيريهما وبعير له ، وانطلق الركب ومعهم عامر بن فهيرة الذي اردفه ابو بكر خلفه ليكون في خدمة الرسول وصاحبه في الطريق .

وبهذا توفرت لرحلة الهجرة كل وسائل النجاح ، وكان ذلك كله بتوفيق الله وعنايته التي حالت دون ان يتمكن سراقة بن مالك من الظفر بالرسول ، وكان قد تتبعه طمعا في المكافأة التي جعلتها قريش لمن يرد الرسول عليهم .

ووصل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا ، واستقر بها ، واتخذها قاعدة انطلق منها الاسلام الى سائر ارجاء الأرض ، وقضى الرسول بقية حياته مهاجرا بين اخوانه من المهاجرين والانصار .

وهكذا عاش الرسول حياته من اولها الى ان لقى ربه ـ مهاجرا ـ بمعنى او بآخر من معاني الهجرة ، وكذلك المسلمون عاشوا مهاجرين بهذا المعنى .

فما احوجنا ـ نحن المسلمين ـ في مناسبة بدء السنة الهجرية ان نتخذ من الهجرة دروسا تثبت ايماننا ، وتقوى عزائمنا ، وتدفعنا الى استعادة مجد الاسلام وعزة المسلمين والله على كل شيء قدير .





○ دار الافتاء المصرية تقول :
يجوز شرعا الاستيلاء على عيون الموتى وجلودهم

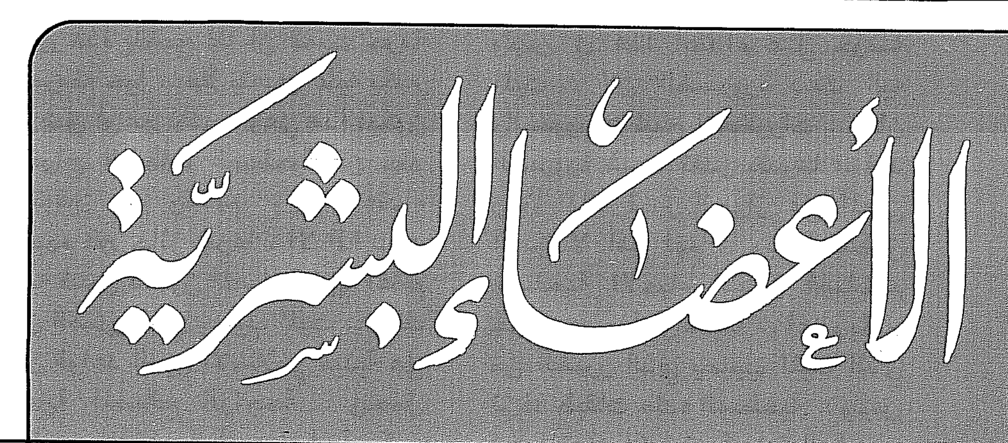
○ الضرر الذي يلحق بالحى المضطر لهذا العلاج أشد من الضرر الذي يلحق بالميت .

○ الأطفال الذين يتناولون لبن « بنك الحليب البشري » لا يعتبرون أخوة من الرضاع .

انتشرت في عصرنا الحاضر .. ظاهرة علمية تتمثل في انشاء بنوك للأعضاء البشرية .. مثل بنك العيون وبنك الجلود .. حتى يتمكن الأطباء من إجراء عمليات جراحية .. تعيد البصر الى المكفوفين وتمكن الأطباء من علاج الحروق الجسيمة والعميقة للذين تعرضوا لحوادث الحريق .. وذلك بعد انتشار بنوك الدم .. والسعي لانشاء بنوك لبن الأمهات .

وقد تجاوزت المنظمات والهيئات الطبية .. حدود الأحياء ـ بالنسبة لبنوك الدم ولبن الأمهات ـ فطالبت بالاستيلاء على عيون الموتى وجلودهم للاستفادة بها في علاج المرضى .. وذلك في ظرف ثماني عشرة ساعة بعد الوفاة .

فما هو موقف الاسلام من انشاء بنوك الأعضاء البشرية !! وهل يجوز شرعا الاستيلاء على عيون الموتى أو



للاستاذ / محمود بيومي حسن

جلودهم !! وهل يمكن أن نتصور في المستقبل القريب انشاء بنوك مماثلة « للكلى » و « القلوب » و « الاسنان » وغيرها !!

لقد أباحت دار الافتاء المصرية .. انشاء هذه البنوك البشرية .. وأصدرت الفتاوي التي تبرر اجازة ذلك شرعا .. ونظرا لخطورة هذا الأمر .. فإننا نعرض نص الفتاوي التي أصدرتها دار الافتاء المصرية في هذا الشأن .

بنك الجلود البشرية

فقد طلبت وزارة الصحة من دار الافتاء ـ المصرية ـ بيان رأي الدين في الاستعانة بالطبقات السطحية من جلد المتوفين في ظرف ثماني عشرة ساعة بعد الوفاة لعلاج الحروق الجسيمة والعميقة بالنسبة للأحياء .. حتى يتسنى للدكتور مدير معهد الحروق بوزارة الصحة في حالة جوازه شرعا .. استصدار قانون بذلك .

نص الفتوى

وقد أصدرت دار الافتاء المصرية هذه الفتوى :

« بعد بحث هذا الموضوع من جوانبه جميعا .. وجدنا أن هناك قاعدة يحرص عليها الدين كل الحرص .. ويحوطها بسياج متين من رعايته .. هذه القاعدة هي أن للميت حرمة تجب المحافظة عليها ويجب أن يكرم الميت والا يبتذل .. لأنه قد ورد عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. **النهي عن كسر عظم الميت لأنه ككسره حيا ..**

ومن هذا يتضح لنا أن للميت حرمة كحرمته حيا .. فلا يتعدى عليه بكسر أو شق أو غير ذلك .. وعلى هذا فيكون اخراج الطبقات السطحية من جلد المتوفين بعد وفاتهم ، فيه اعتداء عليهم غير جائز شرعا ، الا اذا دعت اليه ضرورة تكون المصلحة فيها أعظم من الضرر الذي يصيب الميت .. وذلك لأن قواعد الدين الاسلامي مبنية على رعاية المصالح الراجحة .. وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة يكون تفويتها أشد من هذا الضرر .

فاذا كان أخذ الطبقات السطحية من جلد المتوفين بعد وفاتهم لعلاج الحروق الجسيمة والعميقة بالنسبة للأحياء يحقق مصلحة ترجح مصلحة المحافظة على الميت .. جاز ذلك شرعا .. لأن الضرر الذي يلحق بالحي المضطر لهذا العلاج أشد من الضرر الذي يلحق بالميت الذي تؤخذ الطبقات السطحية من جلده .. وليس في هذا ابتذال للميت ولا اعتداء على حرمته المنهي عنه شرعا .. لأن النهي أنما يكون اذا كان التعدي لغير مصلحة راجحة أو غير حاجة ماسة .

وتطبيقا لذلك نقول : إن أخذ الطبقات السطحية من جلد المتوفين بعد وفاتهم لعلاج الحروق الجسيمة والعميقة للأحياء .. جائز شرعا إذا دعت اليه الضرورة على نحو ما ذكرنا .. وكان يحقق مصلحة ترجح مصلحة المحافظة على الميت .. ونرى قصر هذا الجواز على الموتى الذين لا أهل لهم .. وليس في هذا اعتداء على حرمة الميت .. لأن الضرورة دعت اليه والضرورات تبيح المحظورات .. ولأن الضرورة شرعا تقدر بقدرها .. فقد رأينا لذلك قصر الجواز على الموتى الذين لا أهل لهم .. وبهذا تتحقق مصلحة الأحياء الذين أصابتهم حروق جسيمة أو عميقة .. أعظم بكثير من الضرر الذي يصيب الميت الذي تؤخذ طبقات جلده السطحية .. وليس فيه امتهان لكرامته أو ابتذال له .

أما صدور قانون بذلك .. فاننا نرى الاحتياط فيه بحيث يقتصر على الحاجة الماسة فقط .. وألا يتعدى الأموات الذين ليس لهم أهل .. أما الأموات الذين لهم أهل فإن أخذ الطبقات السطحية من جلدهم يكون بيدهم وبإذنهم وحدهم ، فاذا أذنوا جاز ذلك .. والا فلا يجوز بدون إذنهم . والله سبحانه وتعالى أعلم » .

بنك العيون

كما طلبت جمعية النور والأمل بالقاهرة من دار الافتاء المصرية .. بيان حكم الشريعة الاسلامية في الاستيلاء على عيون الموتى عقب وفاتهم وحفظها في بنك يسمى « **بنك العيون** » اسوة بحفظ الدم من الأحياء في بنك الدم .. وهل هو حرام أم حلال !! وذلك لاستخدام هذه العيون في ترقيع القرنية لمن تخرقت قرنياتهم حديثا .. اسوة بما يفعله

الأطباء الآن ليعيدوا البصر الى المكفوفين ..
وبيان ما اذا كان الدين يمنع من صدور قانون يقضي بالاستيلاء على عيون الموتى لاستعمالها في تطبيب عيون الأحياء !!

نص الفتوى

وقد أصدرت دار الافتاء فتوى مماثلة للفتوى السابقة هذا نصها : « اننا بحثنا هذا الموضوع ووجدنا أن الانسان الحر بعد موته تجب المحافظة عليه .. ودفنه وتكريمه وعدم ابتذاله .. فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم .. النهي عن كسر عظم الميت لأنه ككسره حيا .. ومعنى هذا الحديث أن للميت حرمة كحرمته حيا .. فلا يتعدى عليه بكسر أو شق أو غير ذلك .. واخراج عين الميت كإخراج عين الحي يعتبر اعتداء عليه غير جائز شرعا .. الا اذا دعت اليه ضرورة تكون المصلحة فيها أعظم من الضرر الذي يصيب الميت .. وذلك لأن قواعد الدين الاسلامي مبنية على رعاية المصالح الراجحة . وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة يكون تفويتها أشد من هذا الضرر .. فاذا كان عين الميت لترقيع عين المكفوف يحقق مصلحة ترجح مصلحة المحافظة على الميت جاز شرعا .

لأن الضرر الذي يلحق بالحي المضطر لهذا العلاج أشد من الضرر الذي يلحق الميت الذي تؤخذ عينه بعد وفاته .. وليس في هذا ابتذال للميت ولا اعتداء على حرمته المنهي عنه شرعا .. لأن النهي أنما يكون اذا كان التعدي لغير مصلحة راجحة أو لغير حاجة ماسة .. وقد ذهبنا الى جواز ذلك في تشريح جثث الموتى ممن لا أهل لهم قبل دفنهم في مقابر الصدقة ، لتحقيق مصلحة عامة راجحة للناس ، إحياء لنفوسهم أو علاجا لأمراضهم أو لمعرفة أسباب الحوادث الجنائية التي تقع عليهم .. مستندين في ذلك الى ما سبق أن أوضحناه والى أن القواعد الأصولية تقضي بايجاب ما يتوقف عليه اداء الواجب .

وعلى ذلك نقول : أن الاستيلاء على عين الميت عقب وفاته لتحقيق مصلحة للحي الذي حرم نعمة البصر .. وحفظها في بنك يسمى « بنك العيون » لاستعمالها في ترقيع قرنية المكفوفين الأحياء الذين حرموا نعمة البصر .. ليس فيه اعتداء على حرمة الميت وهو جائز شرعا لأن الضرورة دعت اليه .. ولأن الضرورة شرعا تقدر بقدرها .. نرى قصرها على أخذ عين الميت الذي لا أهل له قبل دفنه .

أما صدور قانون يقضي بالاستيلاء على عيون الموتى .. فاننا نرى الاحتياط فيه بحيث يقتصر فيه على الحاجة الماسة فقط وأن لا يتعدى الأموات الذين ليس لهم أهل .. وأما الأموات الذين لهم أهل .. فإن أمر الاستيلاء على عيون موتاهم يكون بإذنهم وحدهم فإن اذنوا جاز ذلك والا فلا يجوز بدون

إذنهم ـ والله أعلم ـ .

بنك الدم

وفي مجال نقل الدم من انسان الى آخر وبيان حكم الشرع في ذلك قالت دار الافتاء المصرية :

« انه اذا توقف شفاء المريض أو الجريح وانقاذ حياته أو سلامة عضو من أعضائه على نقل الدم اليه من شخص آخر ، وذلك بأن لا يوجد من المباح ما يقوم مقامه في شفائه وانقاذ حياته ، جاز نقل الدم اليه .. لأن الضرورة تقضي بنقل الدم لانقاذ حياة المريض أو سلامة عضو من أعضائه .. بقوله تعالى : (**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**) البقرة / ١٧٣ ـ أما إذا لم يتوقف أصل الشفاء على ذلك ولكن يتوقف عليه تعجيل الشفاء ، فإن ذلك جائز أيضا عند بعض الحنفية ونرى الأخذ به . والله أعلم .

بنك لبن الأمهات

كما طلبت وزارة الصحة المصرية من دار الافتاء .. بيان الحكم الشرعي حول إمكان انشاء بنك للبن الأمهات .. وقد ناقشت منظمة الطب الاسلامي في اجتماعها الذي عقد بالكويت في العام الماضي عددا من الأبحاث الطبية المتعلقة بانشاء بنك الحليب البشري ومدى شرعية انشائه من الناحية الاسلامية .. وهل من يتعاطون لبن هذا البنك يعتبرون إخوة من الرضاع !! حيث قامت بعض المؤسسات الطبية في بعض دول العالم بإنشاء هذه البنوك .. بالحصول على ألبان بعض الأمهات المرضعات .. ثم قامت بتعقيمه وحفظه ليكون غذاء لبعض الأطفال .

رأي دار الافتاء المصرية

وقد أصدرت دار الافتاء المصرية فتوى في هذا الشأن قالت فيها :

« إن مذهب الأمام أبي حنيفة قد نص على أن الرضاع لا يحرم الا إذا تحققت شروطه .. ومنها أن يكون اللبن الذي يتناوله الرضيع لبن امرأة وأن يصل الى الجوف عن طريق الفم أو الأنف .. وألا يكون اللبن مخلوطا بغيره كالماء والدواء ولبن الشاة أو بجامد من أنواع الطعام أو لبن امرأة أخرى .

فان خلط اللبن بنوع من الطعام وإن طبخ معه على النار .. فلا يثبت التحريم باتفاق الأئمة في المذهب الحنفي .. وإذا لم تمسه النار فلا يثبت به التحريم أيضا ، سواء أكان الطعام المضاف غالبا أم مغلوبا .. لأنه اذا خلط الجامد بالمائع صار المائع تبعا .. فيكون الحكم للمتبوع وأن العبرة بالغلبة .

ولو خلط لبن امرأتين فان العبرة للغلبة .. فأيهما كان أكثر ، فإنه يثبت

التحريم دون الآخر ، وإن استويا ثبت التحريم بهما . والرضاع لا يثبت بالشك ولا بجعل اللبن رائبا أو جبنا .. ف .. فإن تناوله الصبي لا تثبت به الحرمة .. لأن اسم الرضاع لا يقع عليه .

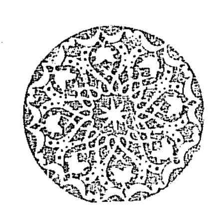
واستعرضت دار الافتاء بعض الآراء الفقهية في هذا الشأن ثم قالت : إن اللبن المجفف بطريق التبخير والذي صار مسحوقا .. لا يعود سائلا بحيث يتيسر للأطفال تناوله .. الا بعد خلطه بمقدار من الماء يكفي لاذابته .. وهو مقدار يزيد على حجم اللبن ويغير من أوصافه ويعتبر غالبا عليه .

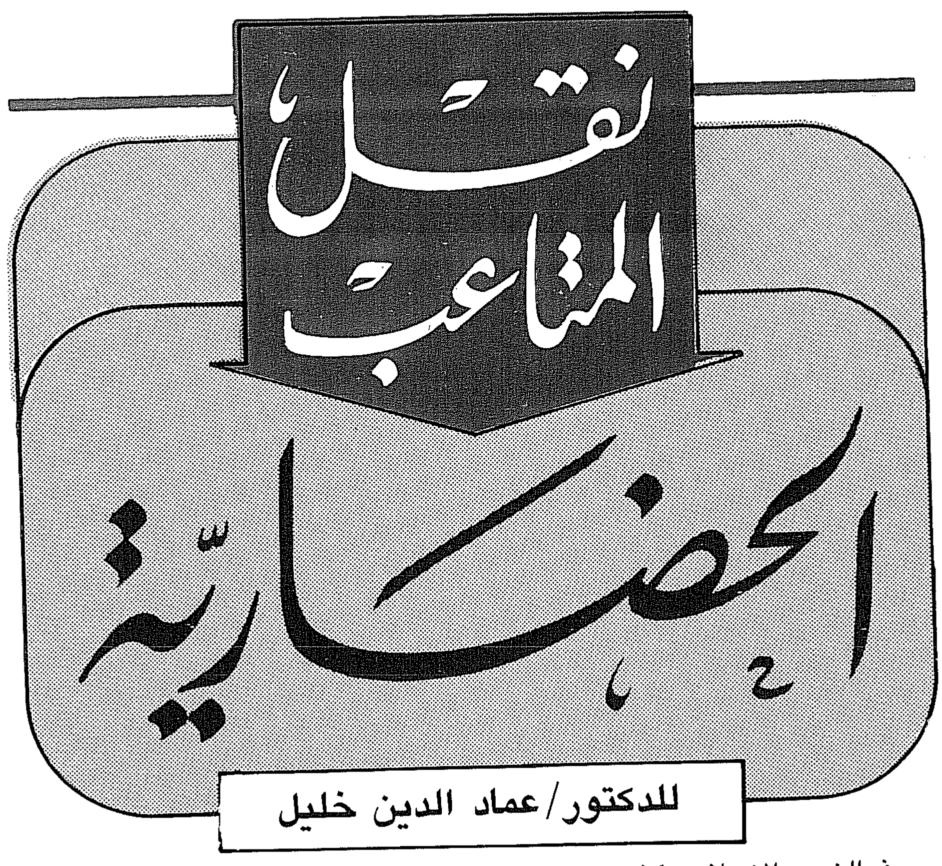
وبالتطبيق على ما ذكرنا من أحكام .. لا يثبت التحريم شرعا بتناوله في هذه الحالة .. ومن جهة أخرى .. فإن لبن الرضاعة الذي يجمع لتغذية الأطفال ويجمع من نساء عديدات غير محصورات لا يمنع الزواج بين الصغيرين في حالة عدم تعيين السيدة أو السيدات اللاتي ينسب اليهن لبن الرضاعة .

أما في حالة تبريد اللبن وبقائه مدة شهرين أو ثلاثة صالحا للتناول .. أو اعطائه للأطفال بحالته الطبيعية .. فإن عامل الجهالة يبقى دائما في هذه الحالة أيضا .. ومن ثم لا يكون هناك ما يقضي المنع من الزواج للمعني الذي أشرنا إليه .. لذلك نرى أنه لا مانع من الوجهة الدينية والشرعية من إنشاء بنك لبن الأمهات .

هذا هو رأي الاسلام في انشاء بنوك الأعضاء البشرية .. وبنك لبن الأمهات .. كما أعلنته دار الافتاء المصرية .. الا أن بعض علماء الدعوة الاسلامية قد أعلنوا آراء تخالف الآراء التي أعلنتها دار الافتاء .. وقالوا إن استخدام هذه الألبان يؤدي الى أخوة شرعية بين الأطفال الذين يستخدمون هذه الألبان .. كما أعلن بعض علماء الاسلام في الباكستان رفضهم لانشاء بنوك الأعضاء البشرية استنادا الى أحكام الضرورة .. وقالوا إن الضرورة هي ما يتوقف عليها حياة الانسان فقط .. وطالما أن الأعمى يستطيع الحياة فلا يجوز شرعا نقل عيون الموتى إليه .. بل يعتبرون العضو المنقول نجسا ولا تصح صلاة المنقول اليه .. كما حرموا إعادة زرع العضو المنزوع الى الانسان نفسه .. لأن الجزء المنزوع قد صار ميتا أي نجسا ولا تصح معه صلاة الانسان الذي يقبل اعادة زرع العضو المنزوع اليه .

وعلى هذا .. فإن مسألة إنشاء بنوك الأعضاء البشرية في حاجة الى المزيد من المناقشات .. لتحديد حالة الضرورة التي يجوز معها شرعا الاستفادة من هذه البنوك .. لذلك نعيد طرح هذه القضية الهامة .. بعد أن استرشدنا برأي دار الافتاء المصرية .





للدكتور/عماد الدين خليل

في الشرق الاسلامي كثيرون ممن كلفوا انفسهم ، ولعلهم كلفوا ، بحمل اسفار المتاعب والعقد الحضارية المستعصية من عالم الغرب إلى عالم الاسلام والادعاء بانها من صنع الاسلام .

ليس هذا فحسب ، بل إنهم يضيفون عليها وينفخون فيها من أجل تضخيمها ومنحها حجما أكبر من حجمها الحقيقي مع اضافة بعض الأصباغ المحلية لكي تتحقق القناعة المطلوبة ويعتقد السذج من الناس بأن هذا من صنع الاسلام ، أو على الأقل من صنع المسلمين والبيئة الاسلامية .

واحدة من عشرات

إننا نتذكر هنا ـ على سبيل المثال ـ نموذجا من عشرات بل من مئات والوف تلك الصحفية المصرية المعروفة وهي (تكافح) لمدى يقرب من نصف القرن من أجل تصوير المرأة الشرقية كما لو كانت تعاني من متاعب ومآس ومعضلات معقدة مستعصية متشابكة ، لاتعاني المرأة الغربية عشر معشارها ، بل لا تعاني منها على الاطلاق . بل أنها ـ المرأة الغربية ـ يجب أن تتخذ مثلا أعلى يتحتم أن تحذو المرأة الشرقية حذوه إذا ما ارادت فعلا تحقيق النقلة المرجوة من الجحيم إلى النعيم .

وكانت هذه الصحفية المثابرة التي سخرت لمحاولتها حشدا من الصحف والمجلات وحتى الكتاب والادباء ، تسعى إلى تغطية المحاولة والالتفاف على مراميها الحقيقية بصيغ وأساليب عدة أبرزها ولا ريب محاولة تعليق المعاناة القاسية للمرأة الشرقية على الرجل المسلم الجاهل ، ولكنها من وراء هذا التعليق كانت تشير باصبع الاتهام ، ومن طرف خفي ، الى الاسلام نفسه والبيئة الاسلامية التي صاغها هذا الدين .

اللعبة الخبيثة

ومضت الصحفية المذكورة فيما أسمته معركة تحرير المرأة إلى هدفها المرسوم دون كلل أو ملل . عقود عديدة والصحف العصرية ، وعدد من الصحف العربية تتصادى بالدعوة المترعة حماسا ، وتؤكد القول شهرا بشهر واسبوعا باسبوع ويوما بيوم ، حتى خيل للناس لكثرة ما أعيد القول ولج في الطلب ، أن المرأة المسلمة تعاني فعلا من الويلات وأنه قد آن الآوان لتخليصها وبأسرع وقت مما تعانيه .

ولم يكن الامر صعبا اذا ما خلصت النية وصدق العزم ، فما على هذه المرأة سوى أن تنظر إلى ما تفعله اختها في عالم الغرب فتحذو حذوه ، هناك حيث تسترد سعادتها الضائعة وكرامتها المتهنة وحقها المسلوب .

والاصوات المخلصة التي نبهت إلى خطورة اللعبة ، وخبثها ، بل إلى خطئها ابتداء ، كاد أن يطوى عليها ، واضطر بعضها فعلا إلى أن يصمت ، أما اولئك الذين واصلوا المجابهة فإن الصخب والضجيج الذي احاط بدعوى (الصحفية) غطى على أصواتهم فلم يعد أحد يعرف ما الذي تريد أن تقول .

وتدور الايام

وتدور الايام دورتها ، وتزداد قنوات الاتصال بالحياة الغربية قوة وسرعة وانتشارا ، ويعرف الشرقيون من خلال الصحف والمجلات والسينما والاذاعة والتلفزيون والدراسات والاعمال الأدبية المترجمة ، كم تعاني المرأة الغربية هناك ، وكم تتعذب ويعرفون ـ كذلك ـ مقدار ما تتخبط فيه من مشاكل ومآس ومنغصات .. ثم هم يعرفون أن المرأة المسلمة ، على ما تعانيه من متاعب بسبب الرجل المسلم الجاهل ، لا الاسلام نفسه ، إنما تحيا حالة أقرب إلى انسانيتها ، وتكوينها ، ومطامحها ، من شقيقتها في الغرب بما لا يقبل قياسا !!

وتدور الايام دورتها فاذا باصوات قادمة من الغرب ، من نسوة غربيات عالمات ومتخصصات ، لا مجرد دعيات أو مهرجات ، تشير بالحرف الواحد إلى أن الهندسة الاسلامية لدور المرأة في العالم هي الهندسة الوحيدة المنسجمة باعجاز

باهر مع تكوين المرأة ومطالبها ، ورغائبها الجسدية والنفسية ، وأن ما عداها ليس سوى الفوضى والتخبط والضلال وأن حصيلته لن تكون سوى الشقاء الذي يلف المرأة الغربية رغم ما يبدو ظاهرا من أنها تعيش سعيدة . ولكنه ليس سوى الديكور الذي يخفي وراءه الوجه القبيح .

ما حدث في ايطاليا نفسها

وتدور الايام دورتها فاذا بعالم الغرب يشهد من الوقائع والأحداث في دائرة المرأة ، ما يؤكد صدق هذه المقولات جميعا ، فيتجاوز نطاق الجدل إلى ساحة الرؤية المشهودة التي تحمل اقناعها المبين .

ونحن نعرف جميعا ـ على سبيل المثال فحسب ـ ما حدث في ايطاليا . فبعد كفاح دام أكثر من عقد من الزمن قدر البرلمان الايطالي أن ينتزع باغلبية ساحقة حق الطلاق بالنسبة لطرفي المعادلة الزوجية : الرجل والمرأة ، واعتبرت الصحف اليسارية ذلك انتصارا كبيرا لقضية الانسان .

بينما كان (الطلاق) بالنسبة للصحفية اياها واحدا من الأهداف التي تسترت وراءها ، وظلت تصوب عليها اعيرتها النارية دون كلل أو ملل لمدى ثلاثين أو اربعين عاما !!

ترى ، ألا تزال هذه المرأة المثابرة تصر على استمرار الحرب ضد الطلاق ، الذي هو بمثابة صمام أمان لما قد يصيب الحياة الزوجية من مشاكل وشروخ مستعصية ، والذي لم يمارس في عالم الاسلام ، رغم حليته ، إلا في نطاق محدود إذا ما قورن بما شهدته الساحة الغربية نفسها ، بما فيها المعسكر الشيوعي ، الأمر الذي تؤكده الاحصاءات التي لا تميل يمينا أو شمالا ؟!

التصور الخاطيء

وغير الطلاق مسائل أخرى كثيرة تصورتها صاحبتنا مشاكل ومعضلات وشمرت ساعد الجد سعيا لحلها ، واتخذتها أهدافا سددت إليها سهامها دون كلل أو ملل ، لكنها في حقيقة الأمر لا تعدو أن تكون الوضع الطبيعي الصحيح ، المرسوم بعناية ، والذي شذت عنه المرأة الغربية فشقيت وتعذبت ، وها هي الصحفية اياها تبذل جهودا استثنائية مضاعفة لكي تدفع المرأة المسلمة إلى الخروج من هذا الوضع اسوة بما فعلته زميلتها الغربية ، مهما تكن النتائج وبغض النظر عن المصير الذي ستؤول اليه .

فهي ـ مثلا ـ تريد أن تحطم حاجز القوامة قوامة الرجل على المرأة في مؤسسة الأسرة .. لماذا ؟

إذا كان الاسلام قد منح للزوجة من الحقوق المادية والأدبية والقانونية ما لم

تتمتع به امرأة في العالم .. إذا فهمنا (الحق) طبعا على أنه قيمة إيجابية ترتبط ارتباطا عميقا بالنظام وتشكل جانبا بنائيا في صيرورته ، لا مجرد تسيب وتفلت وفوضى وضرب على غير هدى .

واذا كان الاسلام قد رتب على الزوج من الواجبات تجاه زوجته ما يمنح حقوقها تلك مزيدا من الحصانة والضمانات .. فماذا لو منح حق قيادة مؤسسة الأسرة للرجل باعتباره أكثر قدرة على ممارسة هذه الوظيفة بحكم موقعه الاجتماعي ، وربما ـ اللهم دون حسم أو جزم ـ بحكم عقلانيته وعدم استجابته المبكرة للدوافع والمؤثرات العاطفية ؟!

ومعلوم أنه ما من تنظيم أو مؤسسة في حضارة ما من الحضارات إلا واختيرت لها (القيادة) المتفردة التي تعرف ـ بحكم كفاءتها وامكاناتها وارتباطاتها ـ كيف تسوسها وتسير بها صوب النمو ، وتجتاز المشاكل والعقبات ، ومعلوم كذلك أن ازدواج السلطة يعني التفكك والدمار ، وهو يتمخض من حشود من السلبيات تفوق كثيرا ما يمكن أن يتأتى عنها من ايجابيات .

الصحفية تأبى الاذعان لهذه البداهات وتصر على استيراد الصيغة الغربية التي تضيع فيها المرأة والرجل معا حيث تشيع القيادة وحيث تصبح مؤسسة الأسرة مركبا بدون قبطان .

لم يقل أحد إن المرأة خرجت عن دورها

وماذا عن تفرغ المرأة للبيت ؟ ماذا عن دورها الكبير هناك ؟ الدور الواسع المتشعب الخطير الذي اعترفت به التجربة الواقعية قبل وبعد تأكيدات الاديان والشرائع ؟ إن الاسلام ـ طبعا ـ لا يرفض خروج المرأة ، لا يرفض توظيفها هنا أو هناك لا يقف بمواجهة الافادة من كفاءتها في هذه الدائرة أو تلك من دوائر الدولة أو النشاط العام ومؤسساتهما ، لكنه يرفض ألا تكون هناك ضوابط ومعايير وخرائط دقيقة تتحرك المرأة على ضوئها ، فلا تهدر طاقاتها أو تضيع .

والاسلام ، كما هو شأنه في كل مسائل الحياة ، يرتب سلما للأولويات هو بمثابة ضرورة من الضرورات الاجتماعية بل الحضارية ، وهو هنا بصدد وظيفة المرأة ، يجعل مهمتها في مؤسسة الأسرة هي القاعدة ، أو الضرورة او المهمة الأولى في وجودها ، وبعدها تتسلسل الوظائف والمهمات ، على ضوء الحاجة الاجتماعية ووفق الظرف التاريخي الذي يعيشه شعب من الشعوب .

فعندما كانت الدولة الاسلامية الفتية تقاتل خصومها في كل مكان ، وكانت مهمتها تعزيز مكانتها في الأرض بأيد لم تكن تكفي لتنفيذ هذا الهدف الكبير كان لابد للمرأة أن تدخل طرفا في المعادلة ، وأن تقف إلى جانب الرجل تحمل السلاح وتقاتل .

وعندما كانت الامة الاسلامية تجابه التحديات الحضارية بعد الفتح ، وتعمل

عقلها لتنفيذ قيمها العقيدية في واقع الحياة ، وتشكيل التيار الثقافي الذي يحمل صبغتها ، كان لابد للمرأة كذلك أن تدخل طرفا في المهمة وأن تكتب وتحدث وتعلم وتتعلم .. إلى آخره ..

لم يقل أحد في الحالتين بأن المرأة خرجت عن دورها المرسوم وأن عليها أن ترجع لكي تظل في البيت . ولكن كانت مهمتها كربة بيت .. كزوجة .. وأم .. ومربية .. هي القاعدة التي أكد عليها الاسلام . وغدت في حس المسلمين بمثابة بداهة من البداهات . وكانت المعادلة بهذه الصيغة واضحة ومقنعة ، ولم يترتب عليها كما يتوهم عشاق جلب المتاعب الحضارية أية معضلة تقتضي دراسة أو حلا ..

وتجيء الصحفية المثابرة لكي تصرخ على مدى أربعين عاما بأن على المرأة أن ترفض عبوديتها للبيت وأن تخرج لكي تحقق انوثتها وحريتها وتكسب حقها المهدور دون أن تدرك ـ هذه الصحفية ـ أو لعلها تدرك وتتعمد التجاهل ، أن انوثة المرأة لن تتحقق الا من خلال وظيفتها الأساسية كزوجة وأم ومربية ، وإلا من خلال كونها طرفا في معادلة الحياة والتخلق ، تلك التي تضم الرجل والمرأة والاطفال ، منذ أن كان هنالك تقابل بين الرجل والمرأة من أجل استمرار الحياة .

هل ثمة قيمة حضارية في التعبير

ومسألة التحجب ، كانت هي الأخرى الساحة التي قدمت فيها صاحبتنا فنونا من الاثارة بالكلمة الحادة التي تجرح وتدمي ، وبالصورة التي تكاد الأحرف فيها تصرخ حتى تبح اصواتها .

فما دامت المرأة الغربية قد كشفت عن ساقيها فانه يتحتم على المرأة الشرقية المسلمة أن تكشف هي الأخرى عن ساقيها وما دامت المرأة الغربية قد عرضت جانبا من ثدييها فإن لزميلتها المسلمة أن تحذو حذوها .. مادامت المرأة الغربية قد لطخت وجهها وهي تغادر البيت بحفنات من الاحمر والابيض ورشت على جسدها حفنات أخرى من العطور فإن للمرأة المسلمة أن تلطخ وترش هي الأخرى .. مادامت المرأة الغربية تلهث وراء الموضات الجديدة في عالم الأزياء فإن المرأة الشرقية يجب أن تلهث هي الأخرى وترغم زوجها على أن يلهث هو الآخر لكي يغطي مطالبها جميعا .

لماذا ؟ هل ثمة أية قيمة (حضارية) تكمن في الطبيعة المتعهرة التي تكون عليها المرأة في الشارع أو الدائرة أو المعمل ؟ هل ثمة أية عرقلة أو إعاقة للصيرورة الحضارية في كون المرأة ترفض التبرج ، وتأبى التزين إلا لزوجها وزميلاتها ؟

الواقع المشهود

إن الحديث عن البعد الحضاري لمسألة التحجب أو التبرج يطول ، ومن أجل

الاقتصاد في الكلمات أحب أن أشير إلى واحدة من الظواهر المشهودة تستمد قدرتها على الاقناع من كونها أمرا معاشا شهدناه بأم أعيننا في هذا البلد أوذاك من بلدان الاسلام .

إن إقبال الشباب على الفتاة المحجبة أخذ يتصاعد حتى كاد أن يسجل ارقاما قياسية . ويستطيع المرء أن يستخلص في هذا المجال المحصلة التالية :

إذا حدث أن تساوت امرأتان في الجمال ، وربما في الحسب والموقع الاجتماعي فان حظ المرأة المحجبة من الخطبة يزيد بنسبة ملحوظة عن حظ السافرة .. لماذا ؟

الجواب واضح قد لا تدركه صاحبتنا بسهولة بعد ان التوى تكوينها وغابت عنها بداهات الاشياء .

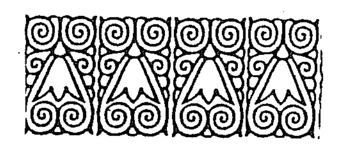
إن الفتاة المحجبة أكثر قبولا للحياة الزوجية حتى بالنسبة لبعض الاباحيين والمتحللين انفسهم ، لأنهم يعرفون جيدا أن هذه الحياة التي تتطلب ثقة وأمنا واستقرارا شيء،والبهيمية التي تتوخى إشباع الشهوة العابرة شيء آخر .

فالتجربة الجنسية المحضة مسألة بسيطة قد تلبي نداءها هذه المرأة أو تلك ، ولكن الزواج تجربة معقدة وممارسة مركبة تتضمن أكثر من وجه ، وتتداخل فيها دوافع شتى لا تقتصر على الساحة الجنسية الصرفة . ولن تصلح لهذه التجربة مطلق أنثى كما يقول المناطقة ، بغض النظر عن كافة الجوانب المعقدة المتشابكة ، بل لابد من توفر حد أدنى من الشروط لكي يستقيم البناء ويتماسك ويتجاوز صيغته الكارتونية التي تنادي بها الصحفية اياها والتي تجعل من مسألة بناء العائلة واشباع حاجة الابوة والأمومة وتنفيذ وظيفة استمرارية الحياة امرا ثانويا بالنسبة للتحقق الشكلي للمرأة المتحررة .

لم يعد مقبولا

إن نقل المعضلات الغربية إلى عالم الشرق ومحاولة وضع رداء اسلامي على جسدها المتقرح ، إن كان مقبولا قبل اربعة عقود أو خمسة ، فإنه ليس بمقبول الآن بعد أن اصبح بمقدور قنوات الاتصال اليومي بالحياة الغربية ، ان تنقل الينا دقيقة بدقيقة ما يجري هناك .

ولن يكون بمستطاع الف اخرى من الصحفية المذكورة أن تطمس على هذا الذي يشهده الجميع لكي ترمي به الاسلام والمسلمين .



مائدة القارئ

(وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)
(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)

قرآن كريم

أبو بكر :

من فضائل الصديق رضي الله عنه التي لم يشاركه فيها غيره .
انه كان ثاني اثنين في الغار و ثاني اثنين في المشورة وثاني اثنين في العريش وثاني اثنين في القبر
وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه وأشاد بفضله فقال : « لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر
ولكن اخوة الاسلام»
ولد بعد عام الفيل بسنتين ومات بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأربعة اشهر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

الرسالة المهاجرة :

ان الرسالة الاسلامية التي هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة هاجرت غالبة من الشرق الى الغرب بفضل مبدئها الالهي الذي قامت عليه ودعت اليه وفازت به هو توحيد الله وتوحيد الكلمة وتوحيد القوى وتوحيد الغاية .

المؤمن قوي :

رأى عمر بن الخطاب رجلا مطأطئا رأسه فقال له : ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض .
ونظر يوما الى رجل مظهر النسك متماوت فخفقه بالدرة وقال :**لا تمت علينا ديننا أماتك الله**

ونظرت السيدة عائشة الى رجل كاد يموت تخافتا ، فقالت : ما لهذا ؟ فقالوا : أحد القراء فقالت : قد كان عمر بن الخطاب سيد القراء فقال اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع
وقال صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

دعاء الكرب :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش العظيم » .

(منافذ الفتنة)

روى في الأثر ان الله عز وجل قال : « يا ابن آدم : إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقين « فكين » فأطبق عليه ، وإن نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين « جفنين » فأطبق عليه ، وإن نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين (فخذين) فأطبق » .

ما قل ودل

- « الذي يقهر نفسه اعظم من ذلك الذي يفتح مدينة .
- صديق عدوك عدوك
- من لم يقدمه حزمه أخره عجزه

بزر كل شيء

يروى أن قيصر الروم كتب الى معاوية بن أبي سفيان رسالة مع سفير يقول فيها : « أخبرني عما لا قبلة له ، وعمن لا أب له ، وعمن لا عشيرة له ، وعمن ساربه قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في الرحم ، وعن شيء وعن نصف شيء وعن لا شيء ، وابعث الي في هذه القارورة ببزر كل شيء ، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس أعظم الفقهاء المسلمين في ذلك الوقت ليجيب على الأسئلة ، ورد ابن عباس قائلا :

أما ما لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من سار به قبره فيونس « النبي الذي ابتلعه الحوت » ، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في الرحم : فكبش ابراهيم ، وناقة صالح ، وحية موسى ، وأما « شيء » : فالرجل له عقل يعمل به ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ، ويعمل برأي ذوي العقول ، وأما لا شيء : فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره .

ثم ملأ ابن عباس القارورة ماء وقال : هذا بزر كل شيء وبعث معاوية بتلك القارورة الى قيصر الروم فأعجب بها إعجابا شديدا .



من إشفاق الوالد على ولده أن يراه دائما محتاجا الى نصحه وارشاده وتوجيهه لأنه يعتبره دائما في حاجة إلى الدعم والمساندة والوقوف إلى جانبه حتى يطمئن عليه وعلى مستقبله . ومن ناحية أخرى كل أب يتمنى أن يكون ولده أرقى منه مستوى وأكمل منه عقلا وأعظم منه جاها ، وأوسع منه سلطانا ولذا تراه حريصا على تسليحه بكل ما اكتسب من تجارب وايصائه بكل معاني الخير والسؤدد . وقد جاء في القرآن الكريم بعض النماذج الفريدة من وصايا الآباء للابناء . من ذلك وصية سيدنا ابراهيم عليه السلام لبنيه بالتمسك بالدين . قال تعالى في سورة البقرة : « **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** » البقرة ١٣٢ ، ثم وصية يعقوب لبنيه خوفا عليهم وتحسبا من العين جاء ذلك في سورة سيدنا يوسف عليه السلام : « **وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة** » سورة يوسف (٦٧) . ثم وصايا لقمان الحكيم لابنه الواردة في عدة مواضع من سورة لقمان من ذلك قوله تعالى : « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** » سورة لقمان (١٣) وقوله تعالى : « **يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** » لقمان (١٧) .

وقد أورد السيوطي في كتابه

(تاريخ الخلفاء) وصية المنصور العباسي لولده وهو موضوع بحثنا . ومن بين ما جاء فيها قوله : « أي بني ، استدم النعمة بالشكر ـ والمقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس » .

هكذا يكون بر الآباء للأبناء : بفتح بصائرهم وإرشادهم وتوجيههم . فقد اشتملت هذه الوصية على أربع قواعد أخلاقية هامة لا يصلح أمر الفرد إلا بها وهي مقومات للشخصية المثالية ولدوام السلطة في يد صاحب الأمر .

١ ـ **فقد أوصاه أولا** بأن النعمة لا تدوم إلا بشكر المنعم وغالبا ما يغفل عن ذلك من يتربى في النعيم وبحبوحة العيش وظل السلطة لأنه لا يعرف الحاجة ولا يتصور الفاقة ، يده طائلة وسلطته شاملة ورغائبه محققة . شهواته أوامر وهواه مطاع فأراد أبوه أن يحصن له هذا النعيم بشكر المنعم ليضمن له دوامه وليكون نعم الخلف لخير سلف ، زينة في المجالس وقرة للعين وإطارا كفئا رشيدا تعتمد عليه الدولة وينفع المجتمع ، ودعوة صالحة له بعد الممات . وشكر المنعم على نوعين : شكر باللسان وهو الحمد والاعتراف له بفضله ، وشكر بالجوارح كاللسان واليد حيث لا يعمل بهما محرما ولا يعصيه بهما . لانه في الغالب لا يسلم صاحب السلطة من الوقوع في هواه حيث تجره المتعة ويقوده الهوى المطاع وتزين له بطانته الشهوات واللذائذ حتى يقع فيها . أما إذا عرف أن تلك النعم التي يتقلب فيها إنما سيقت اليه ليستعين بها على الاستقامة وإصلاح من حوله ، لأنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، وان تلك النعم زائلة في يوم من الأيام فلابد له أن يتعظ ويرعوي ويسلك سبيل الهداية والرشاد وهو ما يريده له أبوه بقوله ـ استدم النعمة بالشكر ـ فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (إن لله تعالى من خلقه صفوة إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا اساؤوا استغفروا ، واذا انعم الله عليهم شكروا ، واذا ابتلاهم صبروا) وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله ، إلا ادى شكرها فان قالها الثانية حدد الله له ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه » رواه الحاكم وهو مصداق لقوله تعالى : « **لئن شكرتم لازيدنكم** » ثم ان الحمد والشكر عبادة من داوم عليهما وسع الله له في رزقه وبارك له فيه ، ووطد له ملكه ، ووسع له سلطانه وبقي اسمه في سجل الخالدين . وما الفترات الوضيئة في تاريخ حكام المسلمين الا دليل على ذلك . فكثير منهم جمع بين الحكمة والسلطة فنجح لأنهم كانوا يتعظون بغيرهم ويجعلون من حولهم رجالا اعوانا على الخير يبصرونهم بما ينفعهم دنيا وأخرى ويرشدونهم إلى أن الحمد والشكر عبادة وهما من أخلاق الأنبياء التي أمرهم الله تعالى بالتحلي بها .

فنوح عليه السلام لما أنجاه الله من الغرق أمره بأن يحمده فقال له : « **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمدلله الذي نجانا من**

القوم الظالمين » المؤمنون (٢٨ ، وابراهيم الخليل لما رزقه الله بالذرية بعد اليأس والكبر قال : « **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء**) ابراهيم (٣٩) وقال داوود وسليمان عليهما السلام : « **الحمدلله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**) النمل (١٥) ثم إن الحمد والشكر من أخلاق أهل الجنة . فيوم القيامة عندما ينادي المنادي (**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**) يقول أهل الجنة : « **الحمدلله الذي نجانا من القوم الظالمين**) المؤمنون (٢٨) . وعند اجتياز الصراط يقولون : (**الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**) فاطر (٣٤) ، وعندما يدخلون الجنة يقولون : « **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء** » الزمر (٧٤) وعندما ينظرون الى خيرات الجنة يقولون « **الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** » الأعراف (٤٣) . وعن سعيد بن جبير انه قال : أول من يدخل الجنة من يحمد الله في السراء والضراء .

٢ ـ **اما الوصية الثانية** : من وصايا المنصور العباسي لولده ، فهي استدامة القدرة بالعفو لأن العفو من حسن الخلق يعمر الديار ويبارك في الأعمار . وقد جاء في الأثر (رأس الحكمة التودد الى الناس)

وقد أمر الله نبيه بسعة الصدر والصفح والحلم قال تعالى : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » الأعراف (١٩٩) واخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » لأن العفو من الأخلاق الزكية والصفات الربانية . إذ من أسمائه سبحانه وتعالى ـ **العفو** ـ ويترتب عن العفو المحبة والوداد واستئصال الضغائن والأحقاد . أما الانتقام وخصوصا من ولي الأمر فإنه يورث الضغائن والأحقاد ولذا تنزه عنه الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان لا يجازي السيئة بمثلها ولكنه يعفو ويصفح صفح الكرام . قال تعالى : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » آل عمران (١٣٤) فالعفو من أفراد الناس مستحسن ولكنه من صاحب السلطة أحسن وأنفع ولذا أوصى به المنصور ولده لأنه يعرف خطر السلطة فهي سلاح ذو حدين ولذا أوصاه باستدامة القدرة بالعفو . فكم من صاحب سلطة لا يلبث أن تطيح به العواصف نتيجة تسلطه واستعماله قدرته في التشفي والانتقام أو تحقيق الرغائب الخاصة أو التمسك بالأنانية المفرطة . قال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل : « والعفو لا يزيد العبد إلا عزا ، فاعفوا يعزكم الله » وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : « ياموسى أتحب أن

يدعو لك كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر » قال نعم . قال « اصبر على خلقي وجنائهم كما صبرت على من أكل رزقي وعبد غيري ، خيري إليهم نازل وشرهم الي صاعد » فسياسة الرعية من الأمور الصعبة لابد لها من ايمان قوي وحكمة بالغة ونية صادقة وضمير مخلص ، لأن اختلاف الناس في الطبائع والميول والأفكار والاتجاهات لابد له من حاكم قوي يستطيع مسك الأمور بيد حكيمة قوامها العدل وغايتها سعادة المجتمع . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء » رواه ابو داود والترمذي .

٣ ـ اما الوصية الثالثة : فهي الطاعة بالتآلف ، فالخلق عيال الله وخير الناس خيرهم لعيال الله . ومن يرد أن يطاع فلا يفرض السيطرة على عباد الله بل يتقرب بالمعروف ويتألف القلوب ويحسن إليها . وقديما قال الشاعر :

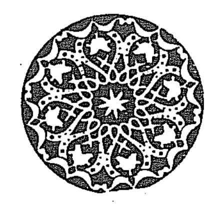
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان إحسان

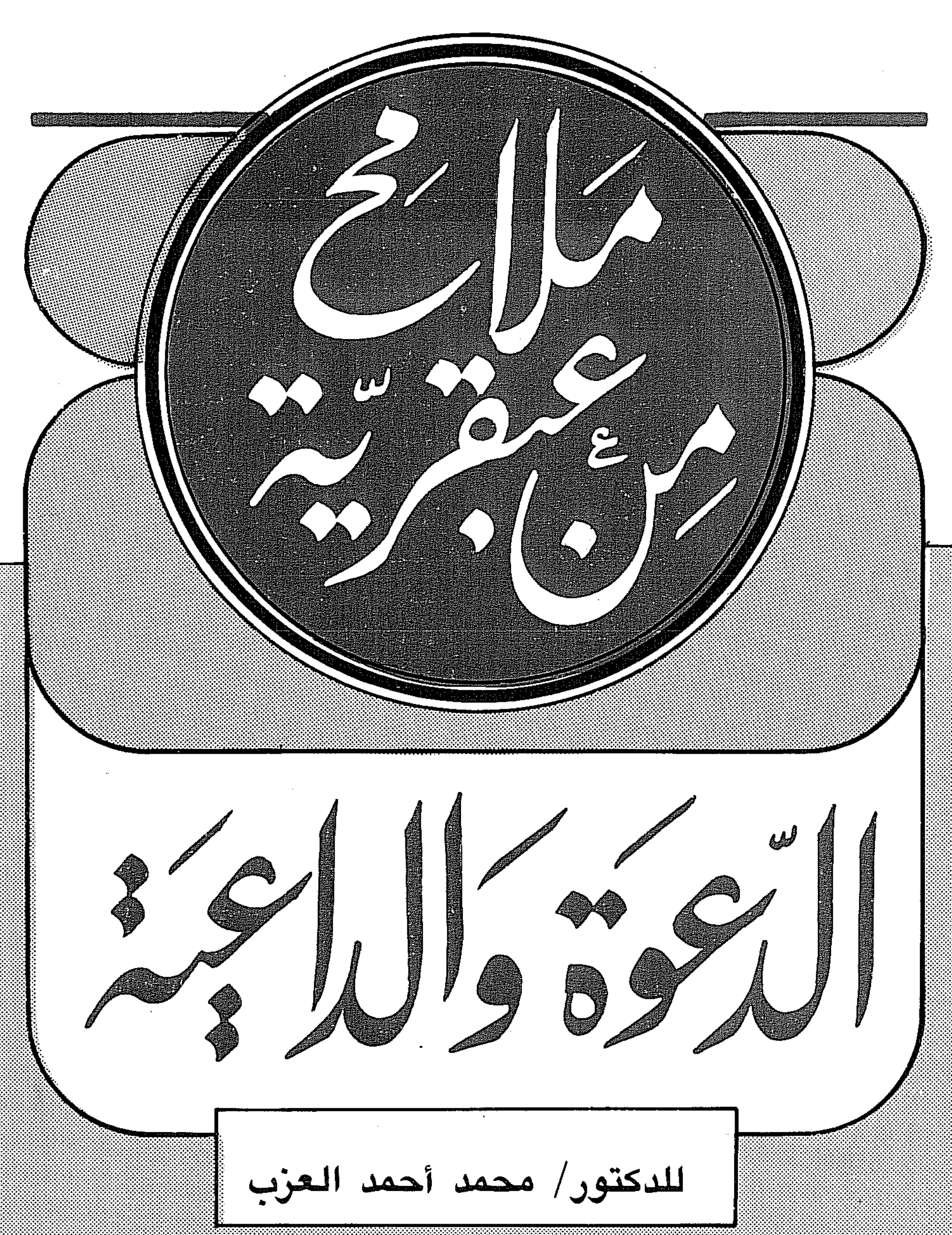
فاذا أردت تأليف الناس من حولك فكن قدوتهم الحسنة وفكر في مصالحهم وأعنهم على شؤون الحياة . قال عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى » متفق عليه وقال سيدنا موسى عليه السلام : « يارب اوصني بوصية » قال « كن مشفقا على خلقي » فمن بنى شخصيته على الظلم والكبرياء والعظمة الفارغة سرعان ما تطيح به الأرياح وتهزه التقلبات ، ولذلك أكد المنصور على ولده بأن دوام الطاعة يكون بالتآلف .

٤ ـ **أما الوصية الأخيرة** من وصايا هذا الرجل الحكيم لولده فهي تتعلق بتحكيم الفكر مع الشورى حتى لا يلحقه ضرر فردي او جماعي بالنسبة لصاحب السلطة . فكم في التاريخ القديم والمعاصر من نكبات وفواجع سببها التعجيل في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات دون الاعتصام بمراجعة الفكر واستشارة أولي الرأي فلا خاب من استخار ولا ندم من استشار . والعاقل من أبعد عاطفته عند إبرام الأمور وخصوصا العامة منها والمتعلقة بمصالح الناس . فالعاطفة آفة القرارات والعاقل من يتخذ فكره مرآة تريه القبح والحسن وتفصل بين الحق والباطل . ومن هنا حرص القرآن الكريم على تأكيد ضرورة التفكير واعطاء من يستعملون العقل منزلة فوق المنازل . قال تعالى « **لعلهم يتفكرون ، لعلهم يعقلون ، ما يعقلها إلا العالمون** » وكرر ذلك في عدة آيات . وقد وجه الله نبيه إلى ما يحفظ اجتماع الأمة ويبقي على وحدتها بقوله تعالى : « **وشاورهم في الأمر** » **وتشمل المشورة كل شؤون المجتمع** . قال تعالى : « **وأمرهم شورى بينهم** » فلم يقصر الشورى على شؤون الحرب مثلا او شؤون الحكم أو الاقتصاد او القضاء بل جعل الشورى صفة من صفات المؤمن قاعدة لحياته وقانونا لجميع أموره

حيث أمرنا بذلك في آية اخرى بقوله تعالى : « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » ومن هنا وجب على الانسان وخصوصا أولي الأمر أن يتخذ بطانة صالحة حتى لا تورده المهالك لان مصالح الأمة بين أيديهم ومستقبلها رهن قراراتهم واشاراتهم ، فوجب حينئذ استشارة العاقل الأمين على دينه وعرضه ليعين على حل المشاكل واهتداء السبيل . وقد أقام الاسلام مجتمعه على مبدأ الشورى فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يشاور أصحابه حتى إذا استقر على أمر نهض به في غير تردد معتمدا على مؤازرة الله له وذلك مصداق قوله تعالى : « **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** » آل عمران (١٥٩) ولما تعرض القرآن الكريم لوصف الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ذكر من بين صفاتهم إقامة مجتمعهم على الشورى فقال عز وجل : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم** » الشورى (٣٨) لانه يريد أن يخلق جماعة جديدة جماعة حضارية في مستوى أرفع ذات ضمير جماعي حي يشعرها بالمسؤولية في أبعادها المختلفة ويحملها على التفكير العام في المسائل العامة والاهتمام بها والنظر إلى مستقبل الأمة نظرة جديدة ويدفعها إلى الاشتراك في الحكم بطريقة غير مباشرة وإلى السيطرة على الحكام ومراقبتهم حتى لا تستبد بهم الأهواء فتبعدهم عن الصالح العام وشريعة الاسلام لأن الشورى من مستلزمات الشريعة الكاملة الدائمة المستعصية عن التبديل والتغيير .

فيا شباب الأمة الاسلامية إنكم بحاجة إلى سياحة داخلية في كتب التراث وأصول الحضارة الاسلامية لتنقبوا فيها عن مثل هذه المعاني السامية لتتحلوا بها . فأنتم في حاجة ماسة إلى مثل هذه الوصية الخالدة ، فلا خير في أمة انقطعت عن ماضيها . وإن الأمة الاسلامية اليوم بحاجة إلى شعوب مخلصة تهاجر إلى إعداد نفسها للجهاد والنفير لتحقيق المجتمع الفاضل وذلك بالاقلال من الملذات والعزوف عن الشهوات وتحمل أعباء البناء والمعاناة لأن الاصلاح والتغيير لا يكون إلا بالهمم العالية والعزائم الصادقة . فتخلص أخي الشاب من حالة الانبهار بالثقافة الغربية ومدنيتها المزيفة ومعطياتها النظرية وسارع إلى ساحة التقدم العلمي الصحيح فلك في تراثك ما يشد عضدك واتخذ من دينك خير حصن لغدك الأفضل ومن حضارتك المجيدة ما يربط ماضيك بحاضرك ومن أصالتك ما يحميك من الانبتات والضياع في الغير . فإنك سليل آباء كرام وجدود عظام وحضارة عريقة ومجد تليد ودين قويم فكن عند حسن الظن وخذ النصائح واعتبر ، والله من ورائك حافظ ومحيط ..





للدكتور/ محمد أحمد العزب

في عالم لاغط بأنماط الاتجاهات والمذاهب والفلسفات ، يلوح رجوعنا إلى الأصول العقيدية حتمية بادهة ، لأن هذا الرجوع وحده هو الذي يعصمنا من الانهيار والتمزق ، وتسول الحلول المجلوبة من شرق الأرض وغربها على السواء .

وحين لا نجد مفرا من التسليم بذكاء الاتجاهات والمذاهب والفلسفات المعاصرة في عرض مقولاتها الجانحة ، وأفكارها السوداء ، بما تصطنعه لها من أطر فنية وفكرية وجماهيرية جاذبة ، فإنه لا مفر لنا كذلك من الالتجاء إلى حضن أصولنا الأولى ، ليس لمجرد اللياذ بها ، والتجمد اليابس عند مجرد التغني بمضامينها

النبيلة ، وإنما لتحريكها في اتجاه الجدل مع واقع العصر الذي نعيشه ، واستلهامها في حركة صدامنا الحتمي مع فكر المرحلة الذي يريد اقتلاعنا بلا حدود !!

فإذا عرفنا أن تراثنا العقيدي حاشد بعناصر الخلود والأصالة ورحابة الاستجابات ، وأنه قادر بلا توقف على مناجزة الواقع غير الاسلامي من منطلق موضوعي ناهض على خبرة كونية شاملة بطبائع الأحياء والأشياء ، فإننا نواجه ـ من جهة أخرى ـ بحاجتنا الهائلة إلى بصائر داعية متفقة ، تستلهم في سلوكها الحياتي ، وفهمها لطبائع النفوس ، وتوجيه جموعها نحو نبالة الفكر ونبالة التطبيق ، منهج قائد هذه الدعوة صلى الله عليه وسلم ، الذي خاض أشرس معارك التحدي مع أشرس وضعية تاريخية وحضارية على الأرض ، ثم انتصر هذا الانتصار الهائل الذي ما تزال ثماره ملء أيدينا وأيدي كل التواريخ .

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ كقائد وداعية ـ يعرف كيف يضيء مجاهل النفس بومضة واحدة ، وكان هذا التهدي إلى مسارب الأعماق يتيح له دائما أن يصنع رعيلا من الدعاة العقائديين الذين يرون في المسافة الزمنية التي تتسع لأكل تمره ، حياة طويلة ، إذا أبطأت بهم عن ورود الموت ، واحتضان الشهادة .. وكان صلى الله عليه وسلم يعرف من يخاطب ، فإذا كان هذا المخاطب راعش الثقة بالنفس ، منحه هذا اليقين الراسخ الذي لا يرتعش ..

وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن منهج وانتماء ، منحه هذا المنهج وأصل انتماءه على أساس من الطهر والحب وفاعلية العلاقات ..

وإذا كان هذا المخاطب حائرا بين نقيضين ، منحه هذا القرار الرضى الذي يوائم بين المنع والمنح ، وبين التخلي والتحلي ، فعاد متناغم الأحاسيس .. وإذا كان هذا المخاطب غير واثق من عمله واتجاهه ، منحه هذا الأمن الذي يرفض الشك كهاجس يصيب صاحبه بركاكة الفعل وركاكة الاتجاه ..

وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن قضية وتطبيق ، منحه هذا الأساس الرائع الذي يضيء ظلم الداخل الذاتي .. ويضع له التطبيق في قلب الشعار .. وإذا كان هذا المخاطب مليئا بالحياة إلى حد الشره ، منحه هذا الحس المسلم الصاعد الذي يرى في الحياة ليس كما محضا ، بقدر ما هي قيمة تميز الكم .. وإذا كان هذا المخاطب ممزقا بين محدودية الطاقة وطموح الغرائز ، منحه هذا السواء المعتدل الذي يرفض التمزق اللا مجدي ، من جلال تعويض إيماني قرير .. وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن موقف يجذر وجوده في الوجود ، منحه هذا الرسوخ في قلب حركة الدائرة فأصبح به ما هو بلا متابعة ركيكة .. وإذا كان هذا المخاطب غير فاهم لذاته ولا مدرك لطاقته ، منحه هذا الضوء الذي يقفه وجها لوجه مع ما يستطيع وما لا يستطيع !!

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ـ أو

قال : أمامك ـ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك ، لم يقدروا على ذلك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ، لم يقدروا على ذلك ، جفت الاقلام ، وطويت الصحف ، فان استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل ، وإن لم تستطع ، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين » . رواه الترمذي وابو داود واحمد

فإذا تخطينا شخصية المخاطب ـ وهو ابن عباس رضي الله عنه ـ واستطردنا مع القاعدة الجليلة التي تقول : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وفهمنا أن التوجه هنا إلى كل مفردات الظاهرة المسلمة في كل بقاعها وأجيالها جميعا ، وجدنا في هذه الكلمات الجليلة استنقاذاً لانسانية الانسان من براثن الخوف والتردد ، وإقامته على شريعة من الثقة المطلقة في واهب الوجود ، ومصدر العدل ، ومسير قوانين الأشياء .. ومتى استقر الانسان على هذا الأساس المطمئن فان العالم كله لن يثني ذراعه أبدا ، وسيجد دائما انه يخطو إلى قدره بملء وثوقه ، لا يحرفه عنه خوف من هنا ، ولا تردد من هناك .. وهذه قمة اليقين الراسخ التي يفجرها فينا هذا التحريض النبيل على ديمومة التماسك ، ورفض كل الهزائم الداخلية !!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي وعد خمسا ، فقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب » رواه احمد والترمذي

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضى ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرة ، وآمر بالعرف » .

وقال زيد الخير قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، لتخبرني : ما علامة الله فيمن يريد ، وما علامته فيمن لا يريد ؟ قال لي : كيف أصبحت يا زيد ؟ قلت : أصبحت أحب الخير وأهله ، وإن قدرت عليه بادرت إليه وإن فاتني حزنت عليه ، وحننت إليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلك علامة الله فيمن يريد ، ولو ارادك لغيرها لهياك لها » رواه ابن ماجة.

ففي حديث أبي هريرة تخطيط شامل لنهج من الطهر والحب ونبالة العلاقات .. وفي حديثه الآخر رسم لنموذج المسلم المثالي الذي يتأبى على الكبر ، والجور ،

والخرق ، والقطع ، والانتقام ، ويعيش في محاريب كونه صامتا مفكرا ، أو ناطقا ذاكرا ، أو ناظرا معتبرا ، آمرا بالعرف .. وفي حديث زيد الخير تجسيد حقيقي لميزان الخير والشر ، بالفعل وبالقوة جميعا ، ومتى استطاع القائد أن يمنح جماهيره إمكان أن يعرفوا صواب الاتجاه وخطل الاتجاه ، فقد عصمهم من استيراد موازينهم من سواهم ، ومن التلكوء الباطل على قارعة الأسئلة الحائرة !!

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » . رواه احمد وابو داود والنسائي

هنا دعوة إلى التخلي .. ودعوة مرافقة إلى التحلي .. التخلي عن حس الانتقام وشهوة المغالبة .. والتحلي بقيم العطاء والنجدة والمكافأة .. فإن فقدنا القدرة على المكافأة المادية الموازية فلنكافىء بما نستطيع من العطاء الايماني الذي يوازي ، وهو الدعاء .. إن شرط الدعاء هنا أن يكون مقبولا ليكافىء ، ولن يكون مقبولا إلا إذا كان طاهر اليد والفم والضمير ، فهل تراها مجرد دعوة للأغيار ، أم هي دعوة تستقطب طهر الأنا والآخرين ؟

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن احدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » رواه احمد ومسلم

وتلك دعوة حميمة إلى رفض الشك وركاكة الفعل ، كهاجس يبطل عزيمة الفاعل ، وقد يصيبه بالاحباط وفشل المحاولة .. إن الذي يعمل وهو واثق من رحابة القبول في المصدر الذي يتوجه إليه بهذا العمل ، قادر على الابداع والتواصل وإيمانية التفكير في الجدوى .. وهذه بداية الزحف نحو فعل جماعي متهلل الأسارير ، قادر بلا توقف على أن يرى في النقمة نعمة ، وفي الظلام ضوءا ، وفي هاجس الشك طلائع قرار إيماني ركين .

وروى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . رواه احمد والترمذي

هنا يطرح النبي صلى الله عليه وسلم نوعية من المثل ونوعية موازية من التطبيق ، فقوله : (اتق الله حيثما كنت) هذا هو المثال ، وقوله : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخالق حسن » هذا هو التطبيق .. والمثال هنا شامل لمحوري الزمان والمكان ، فالتقوى منشودة حيثما كنا مكانيا هنا أو هناك .. وهي كذلك منشودة زمانيا الآن وفي كل الآناء .. وإذا تحقق للانسان العقائدي نوع من المثل الفاضلة ، وإمكان من التطبيق الصوابي ، فقد تحقق له منهج شامل يلبي طموحاته الروحية والمادية على السواء ، وتلك قمة التناغم في سياق دعوة من الدعوات .

وروى أبو بكرة رضي الله عنه ، أن رجلا قال : « يا رسول الله ، أي الناس خير ؟

قال : من طال عمره ، وحسن عمله . قال : فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره ، وساء عمله » .

وهنا يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه بأن الحياة ليست كما ولا تراكما ولا مجرد استطراد وجودي ، وإنما هي قيمة تميز الكم ، وفحوى تضع شروطها في قلب التراكم ، وغاية تجعل من الحركة اتجاها وليس مجرد خبط بلا رشاد .. وإذن فقد نعيش أعمارا ولا نعيش ، لأننا لم نترك على وجه الأرض ما يشير إلى أننا كنا هنا مقيمين .. وقد نعيش عمرا خاطفا ونفرض وجودنا على كل الزمن ، لأننا تركنا وراءنا تاريخا من القيم والفعل والجدوى التي تعطي أي وجود معنى كونه وجودا .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ، كتبه الله شاكرا صابرا ، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منه ،لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » . رواه الترمذي

أليس ذلك إيمانا يرفض التمزق اللا مجدي ؟ إن حركة الاجتماع البشري محكومة بالأعلى والأدنى ، بالأغنى والأفقر ، بالأقوى والأضعف ، وهي حين تحكم بهذه القوانين الطبيعية تومىء من قريب أو من بعيد إلى احتمالات التوفز والغضب والانقضاض وتمرد قبيل على قبيل ، وتومىء كذلك إلى حتمية طرح أسئلة كبيرة ومثيرة : لماذا ؟ وكيف ؟ والى متى ؟؟ وهنا يتدخل الموقف العقيدي ليقرر حتمية هذه الوضعية الوجودية ، وليسلَّ من طوايا الطبائع ما تنطوي عليه من تربص كاسر ، فيلفتها إلى أن موقعها على خريطة الواقع لا يحكمها بالدونية المطلقة ، فهي دون مستوى نعم ، ولكنها فوق مستوى كذلك ، وهنا لا مجال للتربص بالأعلى ، لأنك تتيح بذلك نوعا من التربص بك ممن هو أدنى .. على أن الأعلى والأدنى – من الوجهة الاسلامية – لا يقاس بالامتلاء المادي وحده ، وإنما بتوظيف هذا الامتلاء في مناطه الطبيعي من جهة ، وبالايمان بعرضيته من جهة ثانية ، وبموازاته الحتمية بالامتلاء الروحي من جهة ثالثة .. وهنا تدخل المعادلة عناصر قد تغلب الأدنى على الأعلى ، إذا كان هذا الأدنى معتصما بسلوكية المؤمن ، وبتعالي العقيدي ، وبانفتاحه على أبعاد المعادلة الوجودية جميعها وليس على جانبها المادي الناتيء وحده بلا تبرير !!

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة »رواه الترمذي واحمد

وعن حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن لا تظلموا » . رواه الترمذي

وهذه دعوة إلى شخصية إسلامية بلا إنطفاء ، إن قيمة الانسان ليس في متابعته الذليلة ، ولكنها تنطلق أساسا من قدرته على الابداع والذود عن إيمانه البصير ، قد يولد من رحم التجارب والمصادمات ، وتلك ولادة شرعية ، وقد نكتسب من كل اولئك خبرات وقد لا نكتسب سوى مزيد من الانهيار ، فإذا أفادتنا التجارب خبرة بمعاركة الواقع التاريخي الغليظ ، وخبرة أخرى بكيفية الانتصار عليه ، وتطويعه لاراداتنا المسلمة ، فنحن محور الكون والاشياء وخلفاء الله في الأرض ، وإذا أعطتنا التجارب حس التمزق والقنوط والقهر ، فنحن هذا الغثاء الذي ينفر منه ذوق الكون والأشياء .. إن الايمان وحده هو ما يعصم المؤمن من قدر التذويب والمتابعة والاحتذاء الذليل ، وليذهب الناس في أقطار الأرض اوزاعا ، فسيعودون الينا في نهاية الشوط ، بشرط أن نكون نحن ، إسلاميين حتى آخر نبضة من نبضات العروق ، مثقفين حتى آخر تخوم الثقافة ، حضاريين حتى آخر شوط من أشواط الحضارة ، ودائما ينبغي أن نتواصى بأن إسلامنا يريد العقل الفاعل وليس القاعد ، والسيف الضارب وليس الصدىء ، والكلمة الشريفة وليس المداهنة ، والقلب الجسور وليس المنخلع ، والحضارة الفاتحة وليس المدافعة ، والايمان الموصول وليس الموسمي !!

قبل هذه الوضعية المسلمة يجب أن نعمل على خط المواجهة الذاتية ، لنصحح كثيرا من الخطل في أحكامنا على الأشياء ، ولنجعل من القرآن الكريم سيفا ومصباحا ، ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم شارحا ومرشدا ، ومن قدرتنا على الفعل مدخلا إلى فتح العالم من جديد .

ألم نقل في مطالع هذه السطور : في عالم لا غط بأنماط الاتجاهات والمذاهب والفلسفات يلوح رجوعنا إلى الأصول العقيدية حتمية بادهة ، لأن هذا الرجوع وحده هو الذي يعصمنا من الانهيار والتمزق ، وتسول الحلول المجلوبة من شرق الأرض وغرب على السواء ؟

بقي أن نقول : هذه ملامح من عبقرية الدعوة والداعية ، عرف بها النبي صلى الله عليه وسلم كيف يقود النفوس إلى مواطن العطاء ، وكيف يفجر فيها طاقا الفعل والانفعال ، وكيف يكشف عن أعمق أعماقها حتى تواجه ذاتها بنوع من الفهم الرشيد ، الذي يضع الطاقة أمام العبء ، والاستبصار أمام المعضل ، والايمان في مواجهة كل التحديات !!

أما ماذا ينبغي أن نفعل نحن ، فهو أن نعي هذا الدرس العظيم : وأن نسلح أنفسنا بثقافة العصر ، وأن نخوض إلى غاياتنا كل بحار المخاطرة في إيمان رصين !!





للاستاذ
حلمي حبيب محمود الخولي

إن الطاقة الذرية والأسلحة النووية هي شغل العالم ، وهي الطاقة التي يخشى وقوعها العالم وتعقد المؤتمرات ، وتتم المفاوضات للحد من الأسلحة النووية والقنابل الذرية ، خوفا على العالم من الدمار الذي يلحقه اذا استعملت هذه الأسلحة .

فهناك من الأسلحة ما هو أكبر خطرا ، وأشد نقمة على العالم أجمع وهي الطاقة الجنسية ، واليهودي «فرويد» حين أطلق نظريته الفاسدة ، جعل الجنس هو الأساس الذي تبنى عليه حياة الفرد فيقول : « ان الانسان لا يحقق ذاته بغير الاشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الانسان وهو كبت غير مشروع » .

فهذا اليهودي يبيح الحرية المطلقة للغرائز الجنسية دون اعتبار لأي قيم أخرى تحكم هذه الغريزة وهو بهذا أقسى وأعنف ، بل أقوى من أي قنبلة ذرية يخشاها العالم لأنه يدمر الأخلاق التي ربما منعت استعمال القنبلة الذرية وهذه القنبلة الأشد من الذرة موجهة الى كل شعوب العالم لهدمها وتقوية قبضة « الصهيونية الملعونة » على الشعوب ـ كل الشعوب غير اليهودية ، وهذا ما جاء في بروتوكلات حكماء صهيون : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية

وعندئذ تنهار أخلاقه » .

وحينما تنهار أخلاق الأفراد هل تبقى للشعوب والأمم بقية ؟ انه البلاء وهذا ما أكده رسول البشرية صلى الله عليه وسلم بقوله : « وما تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء » رواه ابن ماجه .

وقال أمير الشعراء رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ان اليهود وفي مقدمتهم «فرويد» حينما فكروا في استعمال الجنس للسيطرة على الشخص وقيادته بسهولة ، انما وضعوا أيديهم على مكمن الداء وهو المادية التي توجد في الانسان فاذا انتصرت عليه - في غياب الروح والوعي الديني - أهلكته وحطمته ، وقد نجحت النظرية وروج لها اليهود في كل أنحاء العالم وكان الهدف الأول بلاد الاسلام خاصة ، لتصورهم أن الاسلام - العدو اللدود - هو مكمن الخطر بالنسبة لهم . وعندما تخلت أوروبا عن الدين واعتنقت تلك الفلسفات والمذاهب المادية التي تجعل من الانسان - حيوانا - كل همه اشباع مادياته دون النظر الى المعنويات من خلق وقيم ومبادىء : **(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)** الفرقان/ ٤٤ عاشت وتعيش أوروبا التجربة المريرة وهي اطلاق العنان للغريزة الجنسية ، وقد أريد للمرأة أن تكون هي اللافتة الجنسية التي تجذب الرجل الى صالة العرض ، أريد للمرأة أن تتخلى عن كرامتها وبهائها وتحيا في أوحال الرذيلة وتدعو اليها ، وتبهرها الأضواء وكلمات الاطراء الزائفة ، ويسيطر عليها وهم السعادة حتى اذا ما اعترى هذا الوهم الضياء الحقيقي ، كانت المرارة والألم هما المكسب من وراء هذه الأوهام التي خدعت بها المرأة .

ان التقارير التي تشير الى عمليات الانتحار التي تقع بين النساء بسبب القلق النفسي واليأس الشديد الذي يسيطر عليهن من جراء الحرية الزائدة واستعمال الجنس استعمالا سيئا إنها تقارير تخيف كل من له عقل يفكر ففي سنة واحدة انتحرت خمسة آلاف سيدة في انجلترا .

لقد أعلن رئيس أطباء مستشفى حكومي في المانيا هو الدكتور « كلين » في مؤتمر للأطباء عقد هناك : ان نسبة كبيرة وكبيرة جدا من النساء في مجتمعنا لسن سعيدات في حياتهن ، والسبب في ذلك هو المتطلبات الجسيمة المتصاعدة ، وأعلن النفير العام لعلم الطب « أن ينظر الى هذه الفاجعة التي تحل بكثير من نسائنا العاملات بعين الجد والاعتبار ، ان هذا الخطر يهدد كثيرين منا ، لأن هذا معناه انهيار عظيم وخسارة مزدوجة لملايين البشر » .

وفي السويد أثيرت ضجة عام ١٩٦٤ عندما وجه ١٤٠ من الأطباء المرموقين مذكرة الى الملك والبرلمان ؛ يطلبون فيها اتخاذ اجراءات عاجلة للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقا حيوية الأمة وصحتها ، وطالب الأطباء بقوانين ضد الانحلال

الجنسي ، وحتى في الصين الشيوعية يشعر أتباع « ماوتسي تونج » انهم مضطرون للقيام بحملة واسعة النطاق ضد الحب الجنسي اللا اجتماعي .

ويرى كل من الاتحاد السوفييتي وبولندا وألمانيا الغربية انهم مضطرون لالقاء نظرة جديدة على قضايا الحب والأخلاق الفردية .

وصرح كنيدي عام ١٩٦٢ بأن مستقبل أميركا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية .

وفي المجتمعات التي يباح فيها الجنس تعاني من الأمراض الجنسية الفتاكة التي لها أبشع الأثر على المرضى بها وعلى ذريتهم ، ويقول الدكتور « جون بيستون » ان القرائن التي جمعت من عدة دراسات تقول ان الأمراض الجنسية معظمها ينتج من العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج » .

ويقول الدكتور كلود سكوت فيكول : « ان المشكلة التي تواجهنا اليوم هي تبديل قيمنا الأخلاقية التي شجعت وتشجع اقامة العلاقات الجنسية المحرمة ، وهذه بدورها سببت ازديادا حادا في اصابات الأمراض الناتجة عن الاباحة الجنسية » .

والاباحة الجنسية تخلق جيلا معقدا لا مأوى له ، ولا يعرف له أبا ينتمي اليه ، ففي احدى الاحصائيات وجد أن نسبة ٤٨٪ من تلميذات احدى المدارس الثانوية الاميركية قد حملن سفاحا .

ويقول الاتحاد الاميركي للخدمات الأسرية : أصبح الانهيار الأسري ، الذي وصل الى درجة وبائية المشكلة الاجتماعية الأولى ، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص ، والمعدل الحالي هو سبعة أضعاف ما كان قبل مائة سنة ، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨ ، ويولد سنويا أربعة ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة . تقول مجلة « لايف » ضربت نسبة الطلاق في الولايات المتحدة رقما قياسيا ، فكلما دار عقرب الساعة ٩٠ ثانية هوى بيت أميركي ، [**وفي كل يوم من العام الماضي كان القضاء الاميركي يمنح ألف حكم طلاق**] .

ويقول أرمسترونج « إن أغلبية جرائم القتل التي تحدث يكون سببها إشاعة الفوضى الجنسية ، وفي دراسة لـ (٥٠٠) حالة متتالية لزيجات فاشلة كان اللوم فيها ـ ما عدا واحدة ، على الجنس ، فقد أصبح الانحلال في كل شيء حتى رجال الدين المسيحي يشجعون على الزنا ويعلنون أنه لا غبار عليه ، وينادون بتبادل الزوجات ، ولا يتحرج قادة الدين المسيحي حينما يعلنون أن الشذاذ أفراد طبيعيون تماما في المجتمع ، وأن الأزواج معذورون في حياتهم لخيانتهم

وأن الجنس قبل الزواج مفيد وحسن » .

ويقول « أرمسترونج » إن أغلب النساء يشعرون بالخيبة والشقاء لأنهن خرجن على فطرتهن ، ويتأنث الرجال ويفشلون أزواجا واباء ، لأنهم تخلوا عن أصالتهم وفطرتهم وتحولوا الى عناصر غريبة تحاول أو تكون الزوجة والأم لا الزوج ورجل البيت .

- وقد أعلنت الصحف قريبا أن الأمريكان بصدد إصدار قانون يبيح زواج الرجل من الرجل وحق الجنس مباح للرجل مع الرجل مادام فيه رضى من الطرفين ، ولم يقع اغتصابا .. أي تخبط هذا في هذه المجتمعات التي تنادي بالاباحية وتعود لتعقد المؤتمرات لتبحث عن العلاج والحل ؟

وتقول الدكتورة « همر » « مندوبة الأمم المتحدة لتدريس قضية المرأة في الشرق العربي « ان ٢٥٪ من السويديين مصابون بالأمراض العصبية والنفسية ، ٤٠٪ من دخل السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض وذلك بسبب الحرية المطلقة » .

إن الجرائم الجنسية حينما تتفشى في أي أمة تهلكها وخير دليل لنا هو قوم لوط والدليل الآخر الامبرطوريتان الفرس والروم قد حل الخراب بهما من جراء الفساد الجنسي والاباحة لتفشي هذه المحظورات .

بعد هذا الاستعراض لمساوىء نظرية « فرويد » اليهودي التي نشرتها الصهيونية لأن فيها دمار العالم ، وهذا ما يرغبون فيه ، ولكن الخطر كل الخطر على المجتمع الاسلامي من جراء المستورد من هذه الآفات الأخلاقية .

وأن السوء يكون مضاعفا ، والعاقبة تكون أشد لأننا في مجتمع تشريعي ، ملتزم بتشريع السماء وهذا التشريع الذي أعده لنا ، ليس فردا منا ، ولكنه خالقنا وهو أعلم بنا وبنفوسنا ، ويعلم أين الخير وأين الشر (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ .

فالدين الاسلامي دين الفطرة وهو لا يقف ضد إشباع رغبات الانسان ولكن يحميه من الهلاك ، والطريق السليم لاشباع الغريزة الفطرية هو الزواج : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم/ ٢١ .

إنه حدد هنا إشباع الغريزة بافراغ الشحنة الجنسية ولكن في إطار المودة والرحمة بين الزوج والزوجة ومن المودة والرحمة يكون السكن الهادىء ، موطن تكوين اسرة جديدة لتشنأ ذرية جديدة : (**ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان/ ٧٤ ، ومن الذرية سوف يستمر عمار الكون وتجديد الحياة وهذه فطرة الحياة التي فطر الله الناس عليها .

إن الاسلام ينظر إلى الانسان على أنه نفس كريمة ومستخلف في الأرض : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**)

البقرة/٣٠ ، فليست خليفته هباء : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)** المؤمنون/١١٥ إن الله لم يخلقه عبثا : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)** الذاريات/٥٦ ، **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** الاحزاب/٣٦ .

إن الانسان راع ومسؤول عن رعيته وقبل رعيته فهو مسؤول عن نفسه ـ مسؤول عن غرائزه ، عن أعضائه وعن ذاته التي بين جوانحه : **(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)** الاسراء/٣٦ ـ ففي الصحيح عنه صلى الله عنه وسلم قال : « **إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، ادرك ذلك لا محالة ـ فالعين تزني وزناها النظر واللسان يزني وزناه النطق والرجل تزني وزناها الخطا ، واليد تزني وزناها البطش ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرج يصدق ذلك او يكذبه** » رواه البخاري ومسلم ، فالانسان مسؤول عن كل عضو من أعضائه يوجهه الوجهة السليمة ، وهي الخير لتكتمل الرسالة وهي عمار الكون وعبادة الله .

فالاسلام يحض على الزواج لأنه الطريق السليم للحفاظ على صحة الانسان وبناء المجتمع فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم ، ويقول : « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي » رواه البيهقي ويقول : « ثلاث حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف » رواه الترمذي ، وقال : « من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني » رواه الطبراني ـ وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات ففيه الأمان لمن خاف على نفسه من مهاوي الرذيلة ليسد على نفسه أبوابها . وقد انكر الغرب تعدد الزوجات وتحاول بعض الحكومات المسلمة ان تقلد هؤلاء المناكيد فتضيق الخناق على ما احله الله ولنا ان نسأل هؤلاء الذين يحرمون ما أحل الله ، هل لرجل أن يتزوج ويعيش في مأمن من نفسه ويأمن شره مجتمعه ؟ أم أنه لا يتزوج بأخرى ويعيث الفساد في الأرض .

ونحن مجتمع اسلامي آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر . فعلينا الالتزام بما آمنا به وعلينا تجنب الفواحش : **(ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/٣٢ ، **(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)** الفرقان/٦٨ و٦٩ .

وقال أيضا « لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشى فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب » رواه احمد . وأشد الشذوذ الجنسي هو اللواط وقد عاقب الله من فعلها بأشد العذاب : (**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**) هود/ ٨٢ .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوسط » رواه ابن ماجه والترمذي .

إن هذا الداء الوبيل أخذ يسري في عروق الأمة الاسلامية ، وأين القوانين التشريعية التي أنزلها الله لعلاج واستئصال هذا الخبث عن جسد الأمة الاسلامية ؟

أين حدود الله ؟ فلعنة الله على من يعطلون قوانين الله ، ويفضلون عليها القوانين الوضعية ، التي تلائم هوى نفوسهم من أجل لذة عارضة أو متعة زائلة أو شهوة لا تغني ولا تسمن من جوع ، أين هذه الأشياء التافهة التي يجرون وراءها أمام لحظة من لحظات العذاب ؟ ألم يمرض أحد هؤلاء الذين يعطلون شريعة الله ويرى مدى الألم من المرض فما باله بنار جهنم يصلاها سعيرا ؟ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وقوله صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه » متفق عليه .

قال الله تعالى : (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) النور/ ١٩ .

إن مسؤولية الذنب مسؤولية الفرد الذي ارتكبها ويشاركه في الاثم من ساعده على ارتكابه ، أو من أباح له حدا من حدود الله فما هي عقوبة اللواط في القوانين الوضعية ؟ إن معظم قوانين البلاد الاسلامية مستوردة من الافرنج وهم يبيحون هذا الاثم ، بل الأنكد من ذلك أنهم في طريقهم إلى إستحداث قانون زواج الرجال بالرجال ؟ فأين القانون الاسلامي من هذا القانون عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه الخمسة . وفي عهد الصحابة حرق من فعل هذا الاثم في جمع من الناس ، هل يقدم أحد على ارتكاب فعل يعلم أنه سيحرق إذا فعله .. تالله أنهم يعطلون شريعة الله ، والله سوف يجزيهم بما فعلوا ؟

.. فأين الحل إذا وأين العلاج ..؟

● - اشاعة المناخ الاسلامي وتوطيد أصوله وبناء لبناته البناء الصحيح ، فأولى اللبنات هي تطبيق الشريعة الاسلامية ، فإن إقامة الحدود روادع وزواجر للنفس

الانسانية الأمارة بالسوء لتبتعد عن غيها .

● ـ إغلاق كل محل يشتبه فيه أنه من الممكن أن يكون مدعاة لاشاعة الفوضى والرذيلة ـ أو يكون وكرا لدعاة الفساد .

● ـ تغيير ملامح الدولة من دولة مادية إلى دولة روحية وليس أدل على ذلك من الاعلانات التي توجد في المدن الكبرى في البلاد الاسلامية وتشيع في الناس الرذيلة « المرأة » والذئاب « ليلة عسل في الطرق » « غرام في الطريق الزراعي » ـ « العشاق الثلاثة » وصورة لأحد الممثلين الذين يشيعون الفساد في الأرض يحمل على كتفه ساق عاهرة من عاهرات السينما « عنتر شايل سيفه » .

فماذا لو استبدلت هذه الاعلانات الخليعة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية : « كل المسلم على المسلم حرام : ماله ، وعرضه ، ودمه ، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » رواه أبو داود وابن ماجة **« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »** المائدة/ ٢ **(والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** .

أليست هذه الاعلانات ستخلق جوا إسلاميا مريحا ! فالرائي سواء أكان راكب سيارة أم المترجل كلما وقعت عينه على شيء يذكره بالله وباليوم الآخر وبالعمل الصالح أهذا أوقع في النفس أم الاعلانات التي تثير في النفس التعطش إلى الاثارة ! إن القضاء على أوكار الفساد فئات المنتفعين بالسينما سواء المنتجين ـ المخرجين ـ الممثلين ـ ووضع قوانين تضبط أخلاق هؤلاء حتى لا يدمروا أخلاق المجتمع وهم من الذين لا أخلاق لهم ؟

● ـ إن تجارة الجنس قد انتشرت وبشكل مخيف في صورة شرائط الفيديو وعلى مسمع ومرأى العديد من الحكومات الاسلامية حتى أصبحت تنتج محليا . ألا يوجد قانون يحرم هذه السلعة القذرة .

● ـ إن أشد الخطر على أخلاق الأسر عامة وعلى الأطفال خاصة والشباب هو « الاستعمار البيتي » ـ التليفزيون ـ إنه استعمار يحتل كل بيت ، ويحطم قيم الأسر ويتأثر به كل من الأطفال والشباب ، ويعلمهم السلوك غير السوي ، لما يردده من مفاسد وما يعرض في الجهاز سواء المنتج محليا أو المستورد ، إنه أخطر من أي استعمار آخر ، فالأفلام التي تحطم أخلاقنا تصدر إلينا ونشتريها بأبهظ الأثمان ونحن سعداء ، ألا نحكم عقولنا فيما يضرنا وينفعنا : **(فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)** المائدة/ ١٠٠ إن تنقية هذه الأجهزة انتصار كبير لايدانيه أي انتصار عسكري .

● ـ الحد من خروج المرأة وفق ما شرعه الاسلام : **(يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)** الانشقاق/ ٦ فالرجل عليه مسؤولية السعي ، والمرأة عليها مسؤلية إعداد الأجيال ، وخروج المرأة للعمل

كالأفرنج ، كان فاتحة السوء على البلاد الاسلامية ، وكان بداية فتح باب الرذيلة فتخلت عن حجابها الذي يصون كرامتها وعفتها وأصبحت ترتدي كل ما يدعو إلى ازدرائها تشبها بخليعات أوربا وأمريكا ناسين أنهن مسلمات .

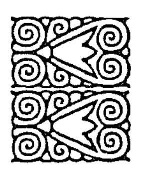
فإذا خرجت المرأة للعمل يكون في حدود خلق الاسلام ولعمل يتناسب مع قدرتها وتكوينها يكون بعيدا عن الرجال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » رواه الترمذي « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ فقال « الحم الموت » رواه البخاري ومسلم والترمذي

● - تيسير أمور الزواج وتشجيع الزواج المبكر لأن الزواج عصمة للطرفين الذكر والأنثى كما أنه يرسي قواعد المجتمع على أسس سليمة ويحد من إشاعة الرذيلة بين الناس وهو العلاج الأسمى لمشاكل االغريزة .

- .. ونتوجه إلى الكتاب عامة وإلى كتاب القصة والشعر خاصة أن يراعوا الله فيما يكتبون ويصورون الرذيلة على أنها رذيلة ولا يصورونها على أنها شيء محبب إلى النفس ويحيطونها بسياج من الورود حتى يمسحوا الوحل عنها ، ولا بد من استحداث قانون يحمي أخلاق المجتمع عامة والشباب خاصة من أفكار هؤلاء المقلدين للغرب في كل ما يكتبون وفي كل ما ينقلون سواء المؤلف منها أو المترجم ، إن بعض القصص بمثابة قنابل تنفجر لتحطم أخلاق المجتمع وإذا ضاعت الأخلاق فأي شيء يبقى .

ويقول مدير دار نشر كبرى ان أروج المبيعات هي الكتب التي تتصل بالجنس .. وإلى من يضعون المناهج التربوية ، لمدارس الحضانة إلى أعلى الدرجات العلمية عليهم أن يتقوا الله ، إنهم مسلمون وفي بلد إسلامي فلا بد من إشاعة الفكر الاسلامي في كل المناهج ، على هؤلاء أولا غرس القيم والمبادىء الاسلامية في قلوب الناشئين ثم بعد ذلك نتركهم ليطلعوا وليعلموا السمين من الغث ؟ ولا يجب أن نقدم لهم فكر الغرب على أنه هو العلم وهو الحياة ، ويكون الفكر الديني على هامش المناهج التربوية حتى أنه يكاد يلغى في العديد من السنوات الدراسية .

- ربنا لا تكلنا إلى نفوسنا طرفة عين ، واحمنا من انفسنا الأمارة بالسوء واهد بصائرنا وضمائرنا إلى الحق واتباع طريق الحق ، وجند من أمتك من يرفعون لواءك عاليا شامخا ، ليهتدي به كل من أراد الهداية ، اللهم امنحنا من فضلك العفة والطهارة والحياء ، اللهم إننا قد بلغنا اللهم فاشهد .



الفتاوى

لا تحريم بنقل الدم

سؤال من احدى الموظفات بوزارة الشئون الاجتماعية بمنطقة الغربية ج.م.ع تقول نقل الدم من امرأة الى طفل لم يتجاوز الحولين هل يتعلق به تحريم مثل الرضاع ؟

بسم الله الرحمن الرحيم : لا يتعلق تحريم بنقل الدم كما يتعلق بالرضاع لأن التحريم بسبب الرضاع ورد فيه نص صريح في الكتاب والسنة ، اما التحريم بنقل الدم فلم يرد فيه نص لا من الكتاب ولا من السنة ولا يصح قياس الدم على اللبن لأنه يشترط في صحة القياس كثرة اوجه الشبه بين المقيس والمقيس عليه ولا يوجد شبه بين الدم واللبن حيث ان وظيفة الدم توفير الحرارة والهواء بينما اللبن غذاء محض يمتصه الجسد ويتغذى به وبه ينبت اللحم وينشز العظم بخلاف الدم فانه ليس بغذاء في حد ذاته وانما ينقل الغذاء ويوفر الهواء .

وايضا الرضيع تثبت بنوته الى المرضعة من الرضاعة توقيفا قال الله تعالى : (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) ولأنه يشبه ابنها الحقيقي بضمه الى حجرها والقامه ثديها واطعامه بلبنها وغير ذلك من رعاية وعطف وحنان اما المنقول اليه الدم فلا نصيب له في شيء من ذلك لهذا اختلف حكم نقل الدم عن حكم الرضاع .

حول جريمة الانتحار

قارىء من الدار البيضاء بالمغرب يقول : من المعلوم ان الانتحار جريمة ولكن لماذا لم يتعرض لها القرآن الكريم ؟

ان القرآن الكريم نهى عن قتل النفس مطلقا والنهي يتناول النفس البشرية سواء أكانت نفس القاتل ام نفس غيره . كلتاهما نفس حرم الله قتلها ، وحرمانها من حق الحياة ومن افظع صور الشذوذ جريمة الانتحار ، حيث تمثل ثورة الانسان على نفسه بسبب فقر او مرض او فشل في تعليم او تجارة الى غير ذلك من اسباب لا يجد امامها العزم على مقاومتها فيقدم على هذه الجريمة البشعة ، واذا كان القرآن الكريم قد ترك النص الصريح في عقاب قاتل نفسه في الآخرة فان ذلك لم يكن تهوينا لأمر هذه الجريمة وانما هو اسقاط لصاحبها عن الاعتبار واستبعاد من ان يفكر فيها انسان مهما قل ايمانه حتى يحتاج الى تحذير وتخويف من عاقبتها على ان السنة صرحت بحرمان المنتحر من الجنة من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » . بهذا نعلم ان جريمة الانتحار تحرم صاحبها من دخول الجنة اما عدم تعرض القرآن لها صراحة فلاستبعاد حدوثها ووقوعها وعدم اعتبار من يقدم عليها كانسان . على انها تدخل في عموم النهي عن القتل ..

الاسراف في الافراح

قارىء من دبي يقول بعض الافراح تكلف الزوج اموالا طائلة هل هذا جائز شرعا ؟ خاصة اذا كان الزوج قادرا على تكاليف العرس .

نهى الاسلام عن التبذير والاسراف وعن مظاهر الترف وقد حرم استعمال آنية الذهب والفضة لأنها ترف واسراف وكسر لقلوب الفقراء ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « ان الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم » .

الاسلام دين الاعتدال والمسلم عدل في كل اموره فمن اسرف فقد تجاوز حد الاعتدال ومن قتر فقد قصر قال تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**

ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) الاسراء/ ٢٩ ومما لا شك فيه ان اتلاف المال سواء أكان على نفس الانسان أم على المظاهر التي فيها

تفاخر امر منهي عنه شرعا والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والقرآن الكريم اعتبر المبذرين من اخوان الشياطين وافراح العرس دعا الاسلام فيها الى اعلان السرور واباح الغناء ترويحا للنفس ما دام خاليا من المجون والخلاعة والميوعة والاسراف وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة لما حضرت زفاف احدى بنات الانصار فقال يا عائشة : (ما كان معكم من لهو ؟ فان الانصار يعجبهم اللهو ..

فالفرحة المعبرة مطلوبة في الزفاف والعرس ولكن في حدود معقولة ومقبولة اما هذا التغالي وهذا الاتلاف فهو منهي عنه وما احوج الفقراء الى مثل هذه الاموال المهدرة خاصة وان الامة تجتاز محنة قاسية يجب ان يراعى فيها

القادرون الموسرون ظروف المنكوبين والبؤساء والمشردين . وهذه المظاهر تملأ قلوب المحرومين حقدا وحسرة . الجيران المحتاجون والفقراء البائسون تزيدهم هذه المظاهر غيظا وألما . ان المال نعمة يجب ان تصان عن الاتلاف والانفاق في غير منفعة ولو كان المنفق موسرا قادرا .

علاج الزوجة

سؤال قارئة من السودان بام درمان تقول: الزوجة المريضة هل نفقة علاجها واجبة على الزوج او لا ؟

نقل عن بعض علماء المالكية ان على الزوج اجرة علاج زوجته وثمن دوائها . ويرى كثير من العلماء ان هذا من النفقات الضرورية التي تلزم الزوج مثلها مثل الغذاء والكساء والمسكن كما ان العرف يقر ذلك ويؤكده وفي الآية الكريمة (**وجعل بينكم مودة ورحمة**) .

الطلاق والمعاشرة الزوجية

قارئة لم تذكر اسمها من الكويت تقول ما حكم من طلق زوجته دون علمها وظل يعاشرها معاشرة الأزواج بعد الطلاق ؟

السائلة لم تذكر نوع الطلاق هل هو طلاق رجعي او طلاق بائن لأن الحكم يختلف على أي حال ، فالطلاق الذي أوقعه الزوج ان كان رجعيا وعاشر زوجته قبل انقضاء عدتها اعتبرت هذه المعاشرة رجعة ، ولو لم تعلم الزوجة

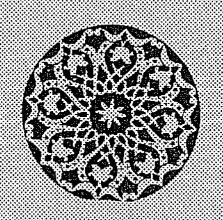
بالطلاق ، اما اذا كان الطلاق بائنا او كان رجعيا وعاشرها بعد انقضاء العدة ، فهذه المعاشرة محرمة شرعا ويجب التفريق بينهما ولا اثم عليها ما دامت لم تعلم بالطلاق ..

نسبة الربح في التجارة

سؤال قارئة من غزة تقول : هل يجوز ان اتوضأ في الحمام وفيه محل قضاء الحاجة ؟ ثم تقول وهل هناك حدود للربح في التجارة ؟
نعم يجوز الوضوء في مثل هذا الحمام للضرورة بشرط الابتعاد عن النجاسة

حيث يشترط لصحة الصلاة طهارة الثوب والبدن هذا بالنسبة للشق الاول من السؤال اما الجواب عن الشق الثاني فمن المقرر ان الربح الناتج عن التجارة المشروعة حلال وللعلماء في تقدير نسبة الربح المباح آراء فبعضهم يرى انه في حدود الثلث وبعضهم يرى اقل من ذلك والاولى ان يكون الربح في

حدود المتعارف عليه بحيث لا يؤدي الى غبن او ظلم او استغلال المشتري ، خاصة اذا كان يجهل قيمة السلعة وينتهز البائع فرصة جهله بالقيمة فيبيعها له بسعر اغلى من المعتاد والفقهاء يسمون هذا المشتري « المسترسل » والرسول صلى الله عليه وسلم حذر من ذلك بقوله « غبن المسترسل ربا » يعني ان الربح الفاحش يشبه الربا .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية

تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)

السعودية : **جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .**
تلفون : ٦٤٤٤٤٤ .
الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء

سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)

صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧

البحرين : دار الهلال

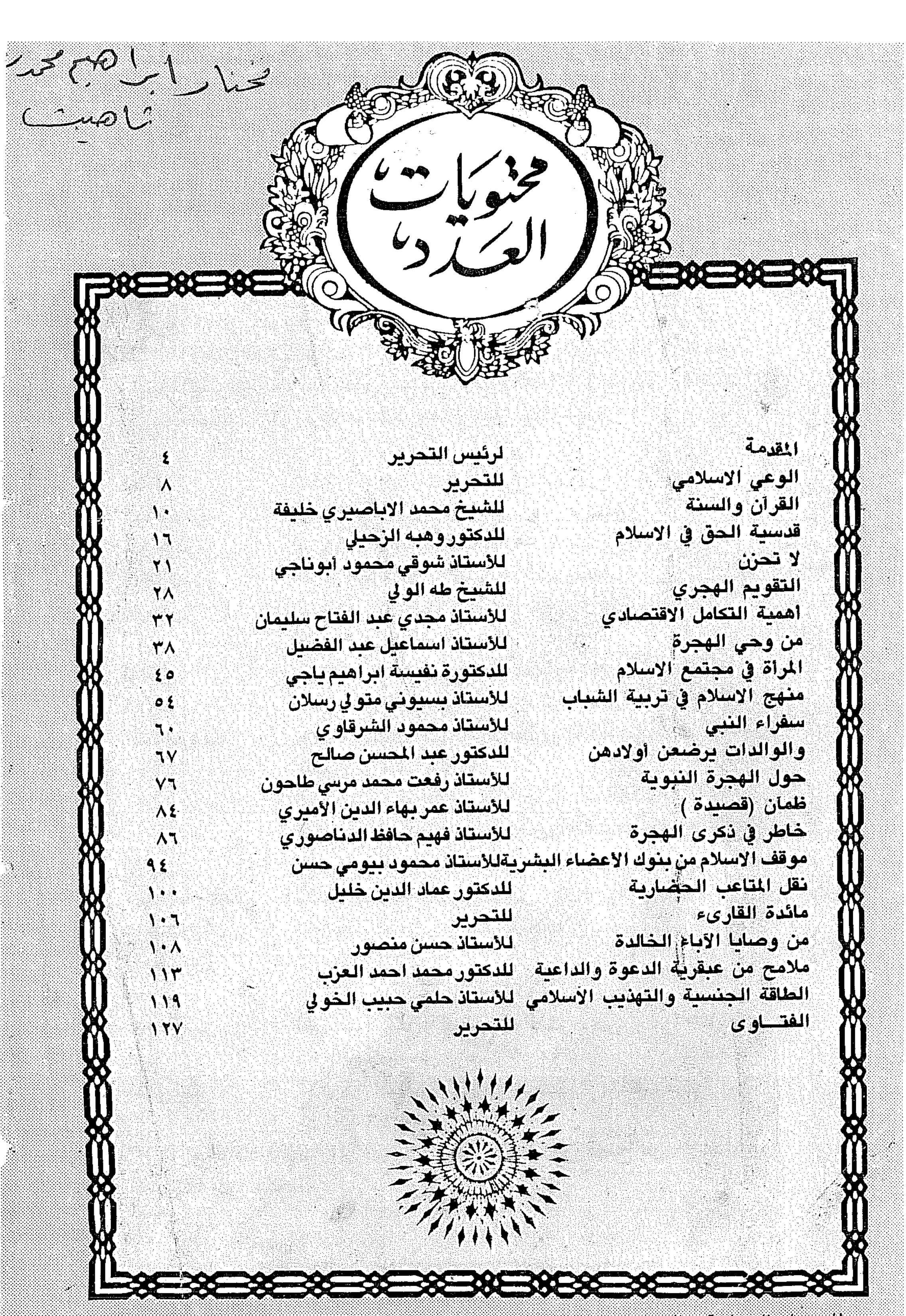
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣

أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



مطابع دار السياسة - الكويت